إشكاليات
ترجمة معاني القرآن الكريم

إشكاليات

ترجمة معاني القرآن الكريم

(اللغـة والمعنى)

د. محمود العزب

أستاذ اللغة والحضارة الإسلامية

بجامعة باريس (السوربون)

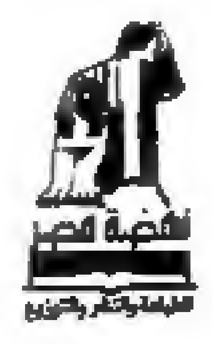

اســم الكتــاب: إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم.

المؤلــــــف: د. محمـــــود المعــــزبي.

إشـراف عــام: داليـــا محمـــد إبراهيـــم.

تاريـــخ النشر: الطبعـــة الأولى إبريل 2006م.

رقــم الإيــداع: 2006 / 1837

الترقيم الدولي ISBN 977-14-3378-4

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: [illegible] (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: [illegible]
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: [illegible] (03)

مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

مواقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

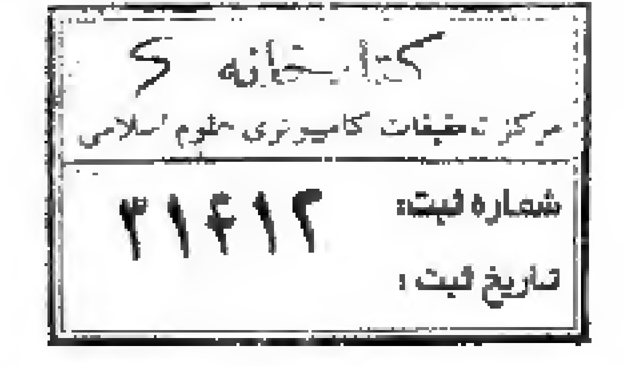

الإهداء

إلى روح المرحوم الشيخ محمد سليمان الزيات الذي علمني القرآن، حفظًا وتجويدًا في كتاب قرية المقاطع ـ مركز الباجور ـ محافظة المنوفية.

وإلى روح أمي السيدة / وهيبة عبد الستار حشاد.

وإلى حفيدتي الآنسة / ملك محمود فتحي

ابنة لميس..

د. محمود العزب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة

هذه دراسة متواضعة تقوم في صلبها على مجموعة ملاحظات وتصويبات قمت بها أثناء مراجعة ترجمة معاني القرآن الكريم وقدّمتها لمجمع البحوث الإسلاميّة في الأزهر؛ بناء على تكليف من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق، الشيخ جاد الحق على جاد الحق.. موجّهة إلى جاك بيرك الأستاذ السابق لعلوم الإسلام فى الكوليج دو فرانس.. وقد صحّح بناء عليها كثيرًا من الأخطاء في ترجمته في الطبعة الثانية الصادرة في باريس سنة ١٩٩٥. وشكر الأزهر وشكرني على ذلك.

وقد نشرت هذه التصحيحات بأرقام صفحات الترجمة، في مجلّة: إسلام فرنسا Islam de France بباريس، العدد الرابع (الفصل عام ١٩٩٩ باللغة الفرنسيّة)، دار نشر هارمتان: L'Harmattan.

وإذا كانت الدراسة تخصّ ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسيّة، فلاشك أن جدواها - إن كانت ذات جدوى - تعود على قارئ الترجمة الفرنسيّة، وليس قارئ العربيّة الذي لا يحتاج إلى الترجمة. إنّها إذن موجّهة إلى الناطقين بالفرنسيّة عامةً وإلى أكثر من أربعة ملايين من المسلمين الناطقين بالفرنسيّة والذين يعيشون في فرنسا.

في العالم العربي والإسلامي اليوم نوع من التوجّه لدراسة الترجمات وتقييمها. وهو توجّه حميد وإن كان لا يخلو من صعوبات وعقبات تتضح حين يكون الدارس أو الناقد غير متمتع بدرجة كافية ضروريّة من معرفة دقيقة باتجاهين متلازمين متوازيين:

الأول: معرفة القرآن الكريم، وعربيته، التي تسمى عربية القرآن الكريم خاصة، بملامحها التي لا توجد إلا فيه. ثمّ علوم القرآن وفي مقدّمتها: علوم النحو، واللغة، وعلوم البلاغة والبيان، وعلم الإعجاز. ثمّ التفاسير القرآنيّة، التي اجتهد فيها جهابذة مثل: ابن عبّاس، والطبري، ومقاتل، والزمخشري والقرطبي والبيضاوي وابن كثير... وغيرهم ولن يكون آخرهم الأستاذ أمام محمّد عبده.

الآخر: اللغة المترجم إليها، أو المتلقّية، بنحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها، وقدراتها ومستوياتها وحركة تطوّرها، ومعايشة أهلها الناطقين بها من عامة ومثقفين، وخاصتها وخاصة الخاصة.

وبعد معايشة طويلة امتدّت إلى أحد عشر عامًا أو يزيد دارسًا لدرجة دكتوراه الدولة في جامعة السوربون بباريس، ثمّ متابعة التواصل والتحاور مع عدد ممن يسمّون المستشرقين، أو المستعربين علماء الإسلام الفرنسيّين، وعدد من الألمان، وقليل من الإيطاليّين. منذ سني الدراسة، وبعد العودة إلى مصر في عام ١٩٨٧ وحتّى ١٩٩٤. والتدريس لشباب الباحثين مستعربي المستقبل، ثمّ التدريس في جامعة أنجامينا في جمهوريّة تشاد والفرنسيّة لغة ثانية حيّة لديهم بجوار العربيّة. ثمّ العمل خلال السنين الأربع المنصرمة حتّى اليوم أستاذًا مشاركًا، وزائرًا في المعهد الوطني للغات والحضارات في باريس - من خلال هذا كلّه أرى ضرورة الحذر في إصدار الأحكام القيميّة بالإيجاب والسلب، وضرورة الحوار العلمي في هذا المجال مع من يرغب من مترجمي معاني القرآن الكريم، والشعر العربي، والأدب إلى الفرنسيّة أو غيرها. ولا أحبّذ الهجاء والسبّ ولا المديح والدفاع

والانحياز وإنّما التحليل والبحث والتنبيه على مواطن القصور والنقص مصحوبة بالدراسة والنقد العلمي.. ومساعدة من يقبل المساعدة من هؤلاء ـ وأرى أكثرهم ـ لا كلّهم ـ قابلين وآخذين بالكثير من توصياتنا ونصائحنا فيما يخصّ ترجمة معاني القرآن الكريم على وجه الخصوص.

إنّني أتمسّك بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. ومع هذا فقد بذلت كثيرًا من الجهد وما زلت في سبيل قراءة علمية لغويّة دقيقة للترجمات، وأخرجت لواحد من المترجمين ما يزيد على مائة وخمسين موضعًا تستدعي التصحيح، وقام بذلك مشكورًا. ومازالت الترجمات ـ كلّها ـ التي قام بها مسلمون أو غير مسلمين تتطلّب تلك القراءة الواعية الدقيقة وتدعو إلى التصحيح والتصويب. هيهات أن توجد ترجمة تامة خالية تمامًا من العيوب مثاليّة تقارب ما يحمله القرآن العربي المبين من معانٍ زاخرة فيّاضة لن تتوقّف عن تفجرها وجريانها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولن تكون قراءتي ولا قراءة أيّها القارئ العزيز هي آخر القراءات المتفحّصة المدققة المحللة الناقدة.. فليكن الاجتهاد والمثابرة هما شأن من يتّصل بهذا المجال الدقيق بشكل أو بآخر..

والله ولي التوفيق».

أ.د. محمود المغربي

إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ـ مشكلة ثم إشكالية:

ما يتفرّد به هذا البحث هو أنّه خلاصة تجربة حيّة ومعايشة ذاتيّة. ترجع قصّتها إلى أوائل سنوات دراستي في جامعة السوربون باريس (٣): لنيل درجة دكتوراه الدولة عن بحث بعنوان «التعريف والتنكير وبناء الجملة في عربيّة القرآن الكريم وفي عبريّة العهد القديم ـ دراسة لغويّة مقارنة».

كان عليَّ أن أستخرج الأمثلة موضوع الدراسة من القرآن الكريم بالعربيّة، ومقابلاتها من العهد القديم بالعبريّة، وأن أضع تحت كلّ مثال ترجمة باللغة الفرنسيّة، وكان أستاذي المشرف قد أشار عليَّ بأن أستخدم ترجمة «ريجيس بلاشير»، وسرعان ما تبيّنت أن بها عيوبًا لغويّة. فذهبت على عجل أعلن ذلك للأستاذ وأطلب استخدام ترجمة أخرى. فأشار بضرورة استخدامها والتنبيه على ما أرى من أخطاء في هوامش الرسالة وحواشيها. وقد كان.

منذ ذلك الوقت بدأت أتناول مختلف ترجمات معاني القرآن بكثير من الحذر وعدم الاطمئنان والثقة، وبدأت أسجّل ما أرى من ملاحظات، وما أتصوّر من العيوب، فجمعت ترجمات: بلاشير، وكازيميرسكي، ودونيس ماسُّون، وحميد الله، باللغة الفرنسيّة، ثمّ ترجمة إبراهام بن شمش، ويوسف ريفلين باللغة العبريّة.

أمّا إشكاليّات هاتين الترجمتين العبريّتين فتختلف في نوعيّتها وحساسيّتها بل ودرجة أهميّتها عن إشكاليّات الترجمة الفرنسيّة. ذلك أنّ الترجمة العبريّة لا يستخدمها ولن يستخدمها مسلم يحتاج إليها في إيمانه وفي عبادته، فالعبريّة لا يتكلّمها إلا الشعب

الإسرائيلي وبعض يهود الغرب، وقليل من اليهود العرب لشئونهم الدينيّة اليهوديّة، لكن لا يتصوّر وجود مسلم يتكلّم العبريّة لغة أصليّة أو كلغة أمّ. إذن فلن يستخدم الترجمة العبريّة إلا باحث يهتمّ بأمور اللغة، في البحث المقارن، أو دراسة علم الأديان المقارن ربّما، وهذا الأخير لن يحتاج إلى ذلك حاجة ماسّة.

إلا أن دراسة هذه الترجمة العبريّة أصبحت على درجة من الأهمّية بالغة، ذلك لأنّها بدأت تدخل إلى عالم أقسام الدراسات العبريّة في بعض الجامعات العربيّة، مثل مصر وسوريا والمغرب على وجه الخصوص. وطلاب العبريّة وباحثوها شأنهم شأن طلاب الفرنسيّة وباحثيها في العالم العربي، غير المتخصّصين في القرآن وعلومه والعربيّة وعلومها، موضع خوف في دراساتهم، وقد يخشى من انزلاقهم إلى المحاذير الكثيرة والخطيرة التي تملأ الترجمات العبريّة أوّلاً، ثمّ الفرنسيّة ثانيًا.

والترجمات العبريّة [illegible] الإثارة، إذ إنّ باحث اللغات السامية قد يتصوّر [illegible] أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة أخت للعربيّة من أسرتها نفسها، ستكون بالضرورة أسهل وأتمّ من الترجمة للغة من أسرة غريبة أو أجنبيّة كاللغة الفرنسيّة من الأسرة اللاتينيّة والفرع الهندوأوروبي الذي لا تربطه صلة قربى بالعربيّة ولا باللغات الساميّة.

إن النظام الصوتي والصرفي والنحوي أو التركيبي للغتين العربيّة والعبريّة على درجة من القرابة واضحة. ولكنّي أثناء قراءتي اللغويّة المتفحّصة للترجمة العبريّة لمعاني القرآن، تبيّنت أنّ:

- الجانب الصوتيّ أقلّ الجوانب تأثيرًا في الترجمة.

- الجانب الصرفي قد تؤثّر فروقه في درجات دقيقة وقليلة من جوانب المعنى.

- الجانب التركيبي هو موضع النظر والبحث وهو بذلك جدير، وفي تركيب الجملة العبريّة (العبريّة القديمة، أو عبريّة العهد القديم على وجه الخصوص) ونظامها - نجد الجملة الفعليّة التي تبدأ بفعل (وهو ما لا يوجد في اللغات الهندوأوروبيّة). ونحن نعلم ورود الجملة الفعليّة بغزارة في نص القرآن الكريم، وخصوصًا في مجالات السياق القصصي وما أكثره. ولأن الظروف أقرب إلى الظروف العربيّة منها إلى الهندوأوروبيّة سيكون ذلك النوع وسابقه محور تسهيل، يقرّب الجملة والعبارة المترجمة للعبريّة إلى الجملة والعبارة للعربيّة. ولكن التركيب ذاته سيكون موضع مشكلات كبيرة إذا نظرنا إلى الأدوات والحروف واستخدامها في الجملة، فالعبريّة تبدو فقيرة أو أقلّ ثراء من العربيّة بكثير فيفقد السياق كثيرًا من ملامحه الدقيقة في النص العربي.

- ويبقى الجانب المعجمي وهو المفردات، وإذا عرفنا أن أكثر مفردات الثروة المعجميّة أو جلّها في اللغات الساميّة كُلّها تكاد تكون واحدة، أو بالأحرى يقوم كلّ منها في كلّ لغة على الجذر الثلاثي نفسه، تصوّرنا إذن - وهذا ما وقع فيه كثير من المترجمين العبريّين والفرنسيّين - أن وضع الكلمة ذاتها

بمنطوقها في اللغة العبريّة المترجم إليها سيكون أتمّ ما يمكن... ولكن لابدّ أن نتذكّر أنّ اتحاد الأصول أو الجذور الساميّة نطقًا لا يعني بالضرورة اتحادها معنى، وانطلاقًا من ذلك سنجد أن التقارب الذي يتصوّر سهولة ودقّة واكتمالاً إنّما هو في الحقيقة «فخّ» يقود إلى انحراف وتحريف. انظر مثلاً إلى كلمات مثل: لَحْم في العربيّة، ومقابلها لِحِم في العبريّة، ثمّ هَلَك في العربيّة، وهالَخ في العبريّة، والأمثلة لا حصر لها، أو لا يمكن حصرها هنا.. ستجد أنّ الأولى في العربيّة خاصة باللحم وفي العبريّة عامة تعني الخبز أو كلّ ما يؤكل، والثانية خاصة في العربيّة بدرجة ما وعامة في العبريّة.

- وأخيرًا فثمة عيبان خطيران لا يمكن قبولهما بأي حال من الأحوال:

الأول: ويشترك فيه مترجمون فرنسيون مع المترجمين العبريّين، وهو تقسيم الآية الواحدة (الطويلة غالبًا) إلى عدّة آيات، والآخر: وهو دمج عدّة آيات (قصيرة غالبًا) في آية واحدة.. إنّ هذين العيبين يؤديان إلى بُعدين خطيرين:

أ - بُعد يتعلّق بالقرآن وعقيدة المسلمين فيه، وهو أنّه لا يجوز بأي حال من الأحوال التدخّل في عدد السُوَر ولا الآيات داخل كلّ سورة، إذ ورد ذلك الذي يستخدمه المسلمون بالتواتر عن النبيّ (ﷺ) وصحابته. فالمساس به مساس بقدسيّة القرآن وأصالته.

ب ـ بُعد يتعلّق بالقارئ حتّى غير المسلم، والذى يستخدم الترجمة للاستشهاد بآية فى مجال دراسة علم له علاقة بالقرآن، فإنّ ذلك القارئ المسكين سيضل ويقع فى حيرة إذ لن يجد الآية المناسبة كما فى نص القرآن العربىّ ولكن سيقع على غيرها، وعليه أن يقرأ السورة كلها ليجد الآية التى تعنى ما يقارب مجال استشهاده.

إن دراسة ترجمة معانى القرآن الكريم للغة العبريّة تحتاج إلى إفراد أعمال علميّة لغويّة تحليليّة نقديّة، ولأنّنى غائب عن الجامعات المصريّة منذ سبع سنوات، فلا أدرى لعلّ هذه الجامعات وغيرها فى العالم العربى والإسلامى تدرس هذه الترجمة فى بحوثها ورسائلها وفى ندواتها ومؤتمراتها، التى يمكن أن تقتصر على الباحثين المتخصّصين، ويمكن أن يكون ذلك فى إطار الدراسات العُليا أولاً.

فى آخر شهر يوليو عام [illegible] م عدت إلى مصر، ومع التدريس فى كلّيتى اللغات والترجمة بالأزهر والألسن بجامعة عين شمس، كلّفنى الإمام الأكبر المرحوم فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، بمراجعة ما يصل إلى الأزهر من ترجمات معانى القرآن بالعبريّة والفرنسيّة، وكان أوّل شىء قدّمته إلى فضيلته، يخص ترجمة شوراكى والتنبيه على سوءاتها، وعلى الكثير من أخطائها. ثمّ طلب منّى الأزهر مراجعة ترجمة «بن شمش» العبريّة، وعددت الكثير من عيوبها مصنّفة حسب درجة فحشها وفداحتها ـ وكنت أفضّل أن أذكر ما أرى من عيوب تاركًا للأزهر تقدير موقفه من الترجمة بالقبول أو الرفض.

قد تبدو هذه المهمّة سهلة لأزهري ولد في الكتاب، وحفظ القرآن في سنّ مبكرة ثمّ درس في معاهد الأزهر، ثمّ في جامعته، ثمّ في السربون ـ علوم لغات القرآن والكتاب المقدّس، وكتب أطروحة باللغة الفرنسيّة في ذلك، ولكن تلك السهولة تبدو خادعة، فالأمر يحتاج إلى يقظة ووعي بإشكاليّات الدراسات اللغويّة والتركيبيّة والبلاغيّة والأسلوبيّة، وكذا قل عن كل علوم القرآن وتفاسيره، ثمّ الغوص في أعماق اللغة الفرنسيّة (واللغة العبريّة) وإدراك خصائص كل لغة وشاعريّتها على وجه الدقّة، وقد يتأتى ذلك لإنسان عاش في بلد اللغة الفرنسيّة وفي قلب حضارتها زمنًا كافيًا وعرف حركتها الثقافيّة والعقليّة في واقعها اليوم وهي تقرأ القرآن لسبب أو لآخر بالفرنسيّة.

بقي أن يدرس المهتمّ بذلك تاريخ الإشكاليّة مبدئيًا، أي مبدأ ترجمة معاني القرآن، منذ نزول الوحي وحتّى الأمس القريب، من ناحية شرعيّة، هل كان المسلمون يرون الترجمة ممكنة أو جائزة؟ وإن كانت جائزة شرعًا فهل هي مستطاعة عملاً؟ وما العقبات التي تواجه المترجم؟ وهل كان لثقافته أو لمستوى معرفته باللغة العربيّة، وبلغة القرآن على وجه الخصوص؟ أم أن للغته الأم وللإلمام بها بدرجة من الكمال أو الإتقان دخل في ذلك؟ أم أن طبيعة لغته ومنطقها وملامحها تعتبر من أهمّ المؤثرات؟ وهل لدينه أو لموقفه من الدين عمومًا أثر في الترجمة؟ وهل لصلة القربى بين العربيّة والعبريّة، ثمّ بين القرآن والعهد القديم دخل في المشكلة؟ وهل يلاحظ خصوصيّات القصص القرآني إذا مرّ بما يشبه التوراة من القرآن في مثل قصص الأنبياء على وجه الخصوص؟

وهل يرجع إلى المفسّرين المسلمين، ومن هو، أو من هم المفسّرون الذين يرجع إليهم؟ وهل نصّ على ذلك في مقدّمته؛ وهل ذكر السبب؟ وإذا كان ثمة أكثر من تفسير محتمل لآية ما فأى التفاسير يختار وأي معنى يضع في ترجمته؟ أترى بعد ذلك كلّه يكون الأمر سهلاً هيّنًا؟

أمّا عن الناحية الشرعيّة فلها تاريخ قديم سنحاول أن تعوج عليه لأنّ فيه بعض الفائدة غير الشرعيّة، وهي ما يهمّنا من الجانب العملي وفي النقد أو التحليل التقني الفنّي اللغوي للترجمة.

٢ـ عالم الاستشراق، ودنيا ترجمة معاني القرآن الكريم،

هما مسألتان متداخلتان مترابطتان ترابطًا وثيقًا، يكاد يجعلهما دنيا واحدة! وضروري أن يستشرف الباحث آفاق عالم الاستشراق، وألاّ يقتصر دوره على رصد الأخطاء للمترجم من هنا وهناك... لاشك أن هذا في حدّ ذاته ضروري وهو نقطة الانطلاق، ولكن إذا أخذ الباحث الأخطاء وبوّبها وصنّفها وحلّلها... واستنبط نوعيّاتها من سياقاتها، وعرضها على ما عددنا في آخر الفصل السابق، وفي الفقرة المملوءة بعلامات الاستفهام التي طرحناها، وعرضها الباحث على الإشكاليّة وعلى نفسه، فإنّه سينتج دراسة علميّة، وبتراكم الدراسات التحليليّة النقديّة للموضوع سنصل إلى مستوى آخر من مستويات المعالجة، ستكون نتائجه أكثر فعاليّة وحسمًا في مساعدة الباحثين، ولمن يرغب دخول عالم ترجمة معاني القرآن، أو من يريد أن يصحّح وينقّح، أو قل: سوف يكون ثمة مرجع يمكن أن يستعين به هؤلاء وأولئك.

إن القدماء قد فعلوا ذلك أو ما يقرب منه وهذا سيكون أحد مراجعنا في الولوج إلى عالم ترجمة القرآن.

ولكن الحديث عن الاستشراق والمستشرقين حديث ذو شجون، وهو لن ينتهى ما دامت السماوات والأرض، وما دامت الحضارات الإنسانيّة فى حالة حوار دائم أو قل فى حالة صراع دائم.

أخطر ما فى هذا الحديث أنّه حديث يتراوح عادة بين العاطفة والعقل، والعاطفة غالبًا ما تغلب، بين البغضاء والمودّة ـ والبغضاء كثيرًا ما تنتصر ـ وبين الانحياز والحياد ـ والانحياز قد اعتاد أن يفوز ـ وبين الذاتيّة والموضوعيّة ـ والذاتيّة هى المتفوّقة بشهادة وقائع التاريخ.

ثمّ ما الموضوعيّة هذه التى يتكلّم عنها الباحثون فى الغرب والشرق ليل نهار؟ وفى مجال الدراسات الإنسانيّة على وجه الخصوص؟ هل ثمة موضوعيّة تامة؟ وحياديّة كاملة؟ إن الإجابة بالنفى لا تحتاج إلى أكثر من إعمال عقل.

«المستشرقون» صارت كلمة فضفاضة واسعة، ضائعة المعالم والحدود، وأريد أن أذكر أنّنى اتصلت بجامعات فرنسا وألمانيا وإيطاليا طالبًا وأستاذًا ولم أجد أحدًا يستعمل كلمة مستشرق، بل إن أحد كبار المشتغلين بعلوم الإسلام في باريس «أرنالدين» قال إنّه يرفض هذه التسمية المليئة بالخلفيّات والأحكام المسبقة ويفضّل أن يسمّى مؤرخًا ومفكرًا. وكثيرًا ما نردّد نحن فى بلادنا ومجتمعاتنا العلميّة وغيرها هذه الكلمة، مشحونًا معناها بالمبالغات والتصوّرات العاطفيّة، وننسى أن هؤلاء المستشرقين أوّلا وأخيرًا بشر وليسوا ملائكة ولا شياطين، إنّهم مثلنا نتاج حضاراتهم ولغاتهم وآدابهم وتاريخهم وعقائدهم عبر قرون، إنهم يعلمون ويجهلون ويصيبون

ويخطئون ويحايدون وينحازون! أوَلسنا نحن أيضًا كذلك؟ أوليست هذه طبيعة البشر؟

أذكر أنّني ـ وقد اتصلت بعدد كبير ممن عاصرت طالبًا وباحثًا ثمّ أستاذًا ـ ما أشرت لواحد منهم إلى احتمال خطأ وقع فيه إلا وهرول أمام الملأ يطلب المناقشة ويقبل التصحيح، وما ترك فرصة لنقده وتوجيهه إلا وانتهزها.. وهذه صفة محمودة عمومًا لدى الباحث أيًا كان.

ولمناسبة المنهجيّة، أذكر أنّني التقيت سنة ١٩٨٤ (وكنت مازلت طالبًا) بمكسيم رودنسون في ندوة علميّة بالكوليج دو فرانس، وتطرّق الحديث إلى كتابه «محمّد» وعتب على إهمال العالم الإسلامي له، فقلت: ولكنّه لم يأتنا بجديد إنّ فيه حشدًا من اتهامات تسمّيها نحن شبهات حول الإسلام ونبيّه، منها «حديث الغرانيق» ومنها «زواج النبي من زينب بنت جحش»، وهذه كلها أثيرت وقت حياة النبي ولها توجيهات وشروح عند المسلمين، فقال: ولكن بأي منهج تدرسونها؟ فقلت له من فوري: أتريد أن تقول بعالمية منهجك، وتفرده وأزليته؟ ألست من نتاج حضاري له نسق علمي وفكري ما زلت تحمله على ظهرك وترى من خلاله العالم؟ أوتحرم على الآخرين أن يروا بعيونهم؟

إن الحديث عن المناهج العلميّة والموضوعيّة هو بيت القصيد، وإن التعميم فيه تعميم الأحكام السريعة والكاملة دون قراءة كل مستشرق أو كل باحث على حدة، وكل عمل من أعماله على حدة. وإلا سنحكم بأن «أرنست رينان» مثل «جوستاف لوبون». وننسى أن الثاني

أنصف كثيرًا في عمله العملاق «حضارات العرب» وسنرى ألا فرق بين ركندورف وشاخت والثاني قد أجاد في كتابه «تراث الإسلام».. وهكذا، ما أكثر ما حاد علماء الغرب والمستشرقون عن جادة الصواب وما أكثر المنصفين بينهم! أم أننا لا نقرأ، كما كان يقرأ أسلافنا القريبون.. وما أكثر هذين النوعين بين ظهرانينا نحن - أم ترى هناك ما يدعي أن كل علمائنا وبحاثينا عمالقة مبدعون صادقون في نظرهم إلى تراثنا وإلى الغير وتراثه؟

إنّه حديث يكاد يضيع في ضباب تفريط وإفراط أكثرهم، وهذه العبارة الأخيرة لم أوردها لجمال الطباق فيها وإنّما لو فصلتها ستحتاج إلى صفحات وصفحات، أمّا تفريط أكثرنا فقد يتّضح - لو قبلنا النقد الهادئ - في ذلك القصور وغياب التحليل والنقد، ودرجة معقولة من الموضوعيّة تجاه الذات وتجاه الآخر، أو درجة معقولة من فهم الذات قبل فهم الآخر، الذات الفرديّة الباحثة، والذات الجماعيّة الحضاريّة.

فنحن كثيرًا ما نحكم - في المرحلة التي نعيشها الآن - بمقدار كبير من التعسّف بسوء نية الغير العلمية، فباحثو الغرب لا يضمرون لنا إلا الشرّ، ولكنّنا كلّنا خيّرون وباحثونا موضع ثقة من البداية، والآخرون موضع شكّ ورفض من البداية وقبل قراءتهم، وإذا قرأناهم فهذه النظرة تسيطر علينا، أليسوا أعداءنا؟ وكأنّهم كلّهم مرتبطون بالمستعمر وجزء منه! وهنا تدخل السياسة في العلم ويختلط كلّ شيء.. وكثيرًا ما نسأل في أثناء حواراتنا عن عقيدة الباحث ودينه، فإذا قال قائل إن مستشرقًا أو مستعربًا تكلّم عن القرآن والإسلام بشكل منصف وجيّد، سألنا على الفور: فهل أسلم إذن؟ فإن كان الرد بالنفي تغيّر

مجرى الحديث أو انصرفنا عنه.. فكأن شرط البحث أن يكون كاتبه مسلمًا.

يقول محمّد أركون[1] : (وهو أستاذ للفكر الإسلامي في جامعات فرنسا والغرب، غني عن التعريف) في هذا الصدد:

«فنحن كثيرًا ما نميّز بشكل قاطع بيّن يقترب من التعسّف بين الباحثين المسلمين من جهة والباحثين الأوروبيّين من جهة أخرى، ولا نطبّق نفس المعايير النقديّة عليهم جميعًا، فهذه المعايير نفسها قابلة للمناقشة شريطة احترام التمييز الأساسي والضروري بين موقف إيماني وموقف عقلي نقدي، وهما موقفان للعقل الإنساني فيما يخصّ وظائفيّته، وطريقة اشتغاله، وخياراته، وأهدافه، ومصالحه ونتائجه».

ولابد أن نذكر أنّ أركون ذاته يمثّل نقطة هامة جدًا وذات طبيعة خاصة إذا نظرنا إليه في إطار العقل الغربي ـ ولفهم ذلك لابد من قراءة كلّ أعماله. إنّه يرى أنّ المجابهة بين موقفي العقل هذين، الموقف الإيماني والموقف العقلاني التحليلي، ونتائجهما المختلفة بمثابة لحظة ضروريّة وأساسيّة من لحظات المعرفة.. وأنا أرى هذه النقطة في غاية الأهمّيّة عندما نتكلّم عن الدراسات والترجمات القرآنيّة، فلابدّ أن تكون نظرة المؤمن بالقرآن مختلفة عن نظرة غير المؤمن، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

إنّ دراسة علم التاريخ المقارن للأديان لها دخل كبير في محاولات فهم موقفي العقل هذين، وهذا العلم مازال ينتظر توسّعًا وانفتاحًا في بلاد العالم الإسلامي وجامعاته، حتّى نستطيع أن

تتبيَن أمورًا كثيرة من أهمّها ما يتّصل بالموضوع الذي نحن بصدده الآن وهو فهم توجّهات المستشرقين ـ إن أمكن أن نستخدم هذه العبارة ـ ودراساتهم للقرآن، ثمّ ترجمتهم له التي هي بيت قصيدنا. إن الولوج إلي عالم ترجمة معاني القرآن دون التعريج علي كلّ ذلك لهوّ يحتوي على قصور مخلّ، ويوصل إلى نتائج خاطئة.

يرى كثيرون من هؤلاء أن المسلمين لم يضيفوا كثيرًا إلى ما قاله الإمام جلال الدين السيوطي (القرن الخامس عشر) في عمله العملاق «الإتقان في علوم القرآن» ويلاحظون إذن نوعًا من الجمود في الدراسات القرآنيَة، من جانب المسلمين.

يرى كثيرون ممن يعملون في الدراسات الإسلاميّة في أوروبا، من مسلمين وغير مسلمين أنّ ما يسمّونه بالأرثوذكسيّة الإسلاميّة، أي المسلمين المحافظين، المتشدّدين، يمارسون ضغوطًا شديدة بالمحرّمات على الدراسات القرآنيّة ويمنعون الاقتراب منها أكثر ممّا يجب. بل يرون أن «الجرأة التي كان يتطلّع بها عدد من الباحثين في الإسلام وعلومه، وفي القرآن على وجه الخصوص مثل تيودور نولدكه الألماني، وريجيس بلاشير الفرنسي قد انتهت إلى غير رجعة وأن الأجيال الجديدة من باحثي الغرب أنفسهم بدأت تخشى خوض هذا المجال خوفًا من رد فعل من يسمون «بالأصوليّة الإسلاميّة المتشدّدة» [٢].

وإن كنت لا أتّفق مع أركون في التركيز على هذا السبب إذ إن الجرأة التي تصل إلى التجريح، بل والتبجح وإصدار الأحكام العامة والمسبقة واردة كثيرًا، وتتكرر ليل نهار في دور البحث العلمي، وإن

بدرجة تختلف عنها في وسائل الإعلام.. وذلك في مجال الدراسات الاجتماعيّة والتاريخيّة والسياسيّة على وجه الخصوص.. وإنّما أرى من واقع معايشة قريبة.

الآن ثمة تغير كبير يحدث في أقسام اللغات الساميّة واللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة في جامعات فرنسا - مثلاً - وهو تغيّر كمّي ونوعي يحتاج إلى دراسة دقيقة، تقوم على رصد واستقصاء، ولدى مادة غزيرة للتحليل، وتجربة عمليّة من خلال التدريس ومتابعة البحوث ومناقشة الرسائل.

وما أقوله هنا هو أن أهمّ أسباب انصراف الأجيال الجديدة من المستعربين عن مجال القرآن وعلومه، هو درجة من نقص وقصور في التكوين، تصل إلى العجز فالخوف فإيثار السلامة فالانصراف.

ولابد أن نذكر هنا أن هناك انصرافًا مماثلاً لدى كثير من الباحثين والدارسين العرب والمسلمين في الأقسام المماثلة بالجامعات العربيّة والإسلامية.

إنّنا نلاحظ بوضوح أن الجيل السابق، والجيل الأسبق من هذا الجانب ومن ذلك (أي في الغرب والشرق) كان يتميّز بصفتين جديرتين بالاحترام، أتاحتا له أن يدرس وأن يجتهد وأن ينتج كثيرًا من علم وإصابة وكثيرًا من أخطاء، وهاتان الصفتان هما:

أوّلاً: التميز بدرجات من الاستعداد والتكون والمعرفة العميقة بالإسلام وعلومه والعربيّة وعلومها، والاتصال بدور العلم والمجامع العلميّة واللغويّة في بلاد العالم الإسلامي والعربي، تفوق كثيرًا ما نراه اليوم لدى الكثيرين من أفراد الأجيال الجديدة.

وثانيًا: التميز بدرجات متفاوتة من الحذر والحيطة، ومن التواضع العلمي، ومن التأكيد على نسبيّة مناهجهم ونسبيّة نتائجهم، مما يعطي محاولاتهم درجات من المصداقيّة.

يرى اليوم كثير من الباحثين والمفكّرين في الغرب وعدد لا بأس به من باحثي بلاد الإسلام ـ نحن مع هؤلاء وأولئك ـ أن دراسة القرآن والبحث فيه تستدعي تطبيق كل المناهج، وليس المنهجيّة الفيلولوجية التاريخيّة التي درج الغرب على تطبيقها وحدها، وتطبيق تلك المناهج من لغويّة، وأدبيّة، واجتماعيّة، وتاريخيّة، وتفسيريّة وغيرها، لن يكون قط بمثابة اختبار للنص القرآني المجيد، الذي هو حقيقة ثابتة باقية، وإنّما سيكون بمثابة اختبار للمناهج تلك باعتبارها إنسانيّة اجتهاديّة تجريبيّة، قابلة للإصابة والخطأ، وللاستمرار والتراجع. وبالتالي يمكن أن تنجح أو تفشل على محك التجربة وانسجام منهج البحث مع موضوعه على محك التحليل والدراسة، أو عدم ذلك.

ثمة ضرورة أن نعترف بأن العقل الغربي عامة، والجانب الاستشراقي منه خاصة يتميّز بقدرته على نقد ذاته.

هذا ما يقوله بيير بورديو[٣] في كتابه «تأملات باسكاليّة» منتقدًا العقل الغربي المسمّى سكولاستيكي (أي مدرساني) والذي يسيطر بقوّة على توجّهات الجامعات ودور البحث في فرنسا والغرب منذ زمن طويل، ولابد من الثورة عليه. وقد بدأت تلك الثورة، كما يشير إلى ذلك هاشم صالح، وثار عليه ميشيل فوكو ورولان بارت وغيرهما في الستينيات والسبعينيات.

لابد أن نضع إشكاليّة هذا العقل في الحسبان، لأن العقل الاستشراقي الذي يهمّنا هنا أو الذي يهمّنا نحن العرب والمسلمين بصفة خاصة هو جزء منه، ويعمل في إطاره، وبدون فهم ذلك يظل علمنا مفتتًا، وبلا نتائج علميّة.

هذا العقل الاستشراقي الذي يمارس منذ قرون ترجمة القرآن ضمن بحوثه وأعماله المتعددة، يبالغ كثيرًا في محاولاته فصل القرآن (واعتباره وثيقة تاريخيّة تساعد على فهم أركيولوجيا الإسلام وفكره بالعودة إلى لحظة الوحي في شبه جزيرة العرب) عن حقيقة كونه، كما يقول هو عن نفسه، كتاب هداية في العقيدة والدين والأخلاق «يصبغ حياة المؤمنين به صبغة خاصة، ولذا فإن دراسته ـ والترجمة تتم في إطار رؤية دراسيّة ـ من جانب العقل الاستشراقي الوضعي وكأنه مجرّد سند تاريخي اجتماعي فحسب، وعدم الاهتمام بالبعد الديني والإيماني فيه، وبالتالي عدم محاولة دراسة «الإيمان» ذاته، بصفته ظاهرة إنسانية قديمة قدم الإنسان ـ فيهما نوع من الإجحاف العلمي والإخلال حتى بالدراسات الاجتماعيّة والتاريخيّة ذاتها، التي يدّعي الاهتمام بها.

إن محمّد أركون ـ ذا الأصل الجزائري ـ والذي يمثّل فيما يمثّل بعض جوانب هذا العقل الغربي (ونحذر كلمة الاستشراقي هنا) الناقد لذاته لدرجة الثورة عليها (أي تلك الذات)، يقول:

«لأني أريد أن أقوم برد فعل ضد العقل السكولاستيكي (المدرساني كما يترجمها هاشم صالح) المهيمن على الدراسات الاستشراقيّة، فهذا العقل المتحجرف يفرض تحديداته ومناهجه، ليس عن طريق

الهيبة الفكريّة التى تخلق لدى القارئ مديونيّة المعنى تجاهه، وإنّما عن طريق آليات السلطة الجامعيّة الأكاديميّة المتضامنة هى أيضًا مع الفلسفة السياسيّة للدول الحديثة. وهذا يشبه ما كان يحصل سابقًا عندما كان رجال الدين وحرّاس الأرثوذكسيّات الدينيّة يتضامنون مع اللاهوت السياسى للدول والأنظمة الحاكمة قبل الثورة العلمانيّة»[4].

وقارئ هذه العبارة قد يبتسم ويسرع قائلاً فى نفسه وربّما بصوت مسموع: ما أشبه اليوم بالأمس إذن، والليلة بالبارحة، وقد تتعدّد الأشكال والصور والسياقات ولكن اللب واحد.. وسيقول بعضنا إذن ـ فيما يخصّ إشكاليّة ترجمة القرآن ـ ألم نقل لكم إنّه الحقد والعداء والرغبة فى هدم الإسلام؟

ولكن طرح هذه المقولة بهذا الشكل فى ميدان البحث والتحليل والنقد، وإن كان نصيبها من الصحة كبيرًا، لا يؤدى بنا إلى الدخول فى عالم الاستشراق الاستعلائي هذا أكثر من ذلك ولن نفهمه وهو يحاول دائمًا فهمنا ولن نعرف أصوله وعوامله وهو جاهد ليل نهار فى استقصاء أصولنا وعواملنا.

وقد نضيف إلى ما قاله أركون ـ ونظنّه يتّفق معنا ـ أن هذا التوجّه الاستشراقى يشبه خطًا طويلاً عريضًا عاشه الاستشراق والمستشرقون منذ وجدوا، وهو التضامن مع الفلسفة السياسيّة لدولهم الاستعماريّة، حيث مهّد كثير منهم لتسهيل سيطرة هذه الدول على كثير من الدول والشعوب العربيّة وغير العربيّة من إفريقيّة وأسيويّة، إسلاميّة وغير إسلاميّة. ولكن من الخطأ الفادح تعميم ذلك

تمامًا على جميع أفراد المستشرقين في جميع بلاد الغرب.. حيث إن كثيرًا منهم عرفوا بالنزاهة العلميّة، وناهضوا وما زالوا يناهضون الأساليب الاستعماريّة التقليديّة والحديثة لبلادهم، ومن هؤلاء جاك بيرك الذي سجن لدفاعه عن قضيّة الشعب الجزائري وعن قضايا المغرب العربي عامة، وموقفه من قضيّة الشعب الفلسطيني ليس ببعيد.

والتضامن بين الاستشراق والمستشرقين وبين الفلسفة الاستعماريّة لبلادهم بات واضحًا جليًا لدى المفكّرين والباحثين في الشرق والغرب، ولن يكون إدوارد سعيد أوّل هؤلاء المفكّرين ولا آخرهم.

إن هذا العقل بات موضع نقد شديد من أصوات قويّة تأتي من داخله هو، وبدأ يفقد كثيرًا من مصداقياته التقليديّة، ولم يعد له في كثير من المجالات وفي كثير من المجالات إلا ما يملك من جبروت الهيمنة على شكل الجامعات ومراكز البحث، لقد بات متّهمًا من داخله ويمعاييره، بأنه «عقل [illegible] معلوماتي لا مفكّر».

إن بعض الباحثين يشبّه معركة محمّد أركون العلميّة مع الباحثين الأكاديميّين في الغرب بمعركة «نيتشه» مع الباحثين الأكاديميّين «الفيلولوجيّين» أنفسهم في القرن التاسع عشر. فالمعركة المفتوحة أو المطروحة إذن منذ القرن التاسع عشر حتّى الآن هي معركة المفكّر والفيلسوف مع الباحث الأكاديمي التقني المتخصّص الذي «يعرف كل تفاصيل موضوع بحثه بدرجة باهرة غالبًا.. ولكنّه يظلّ سجين هذه المعلومات وتلك الأفكار. ولكن مدرسة محمّد أركون تطالب ذلك الباحث

الأكاديمي بعد تجميع معلوماته، بالتوجّه إلى مرحلة التفكيك أو التحليل لهذا التراث الذي يدرسه، ويرى أنّ المستشرق يرفض الدخول في تلك المرحلة زاعمًا أنّها من اختصاص المسلمين أنفسهم.. تخصّ حياتهم الداخليّة.

فماذا إذن سيكون الفارق بين باحث مستشرق غير مؤمن بالنصوص المؤسسة لمضامين هذا التراث الإسلامي موضع الدراسة في اتخاذه مناهجه في تحليله ونقده، ووصوله إلى نتائج، وبين باحث مؤمن، أو ينتمي إلى هذا التراث؟

وهل ستكون المناهج في الحالين حاسمة موضوعيّة مائة بالمائة، صادقة، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؟ (وهذا للأسف ما قد يدّعيه كثير من الباحثين شرقًا وغربًا) أم أنّها سوف تتفاوت في درجات التطبيق وفي كثير من التفاصيل وفي نوعيّة النتائج التي قد يتوصّل إليها؟

هذا بيت القصيد ولب الأمر وخلاصة الإشكاليّة.

ونحن ننسى غالبًا أن هناك عددًا ضخمًا من الباحثين الأكاديميّين - وغير الأكاديميّين - يكتفي بجمع المعلومات، سجناء المعلومات لا يبرحونها إلى التحليل والاستنتاج، واستيضاح معالم الظواهر واستخراج قوانينها.

ولنتساءل الآن: هل سنظل ننتظر الباحث أو الدارس أو مترجم معاني القرآن من بين باحثي الغرب ومستشرقيهم أن ينظر إلى القرآن ومعانيه في إطار علومه ولغته وأدبه وبلاغته ومعانيه، كما ينظر الباحث أو الدارس أو المترجم المسلم المؤمن بالقرآن وبتراث الإسلام والمنتمي إليه هو ومجتمعه؟

وقد يكون الجواب آتيًا من داخل القرآن ذاته: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

إن الباحث والمترجم المستشرق الآتي من قلب الحضارة الغربيّة يحمل في ملامحه وفي أدواته وفي مناهجه ملامح هذه الحضارة الغربيّة وأدواتها ومناهجها، حتّى لو زعم الخروج منها أو عليها دينًا، أو التزامًا بدين أو إيمان. إنّه عادة نتاج حضارة وخلاصة مسيرتها، التي تختلف عن الحضارة العربيّة والإسلاميّة في مسيرتها، وإذن فإن الباحث والمترجم العربي مسلمًا كان أو غير مسلم لابد أن يختلف بدوره إذ يحمل في ملامحه وفي أدواته وفي مناهجه، ثم في نتائجه بالطبع ملامح الحضارة العربيّة الإسلاميّة، حتّى لو زعم التزامه الحياد الكامل والموضوعيّة التامّة، بل نريد أن نقول إن كبار رموز الفكر المسيحي واليهودي على وجه الخصوص من الذين عاشوا في كنف هذه الحضارة العربيّة الإسلاميّة في قمّة ازدهارها عندما كتبوا جلّ إنتاجهم العلمي في الطب والفلسفة وفي فقه دينهم كتبوا بالعربيّة (بألف باء عبريّة) ويسمّى إنتاجهم باليهوديّة العربيّة Judéo – arabe، وكانت مصطلحاتهم في اللغة والأدب والدين مصطلحات عربيّة إسلاميّة، خلعت على كتاباتهم لونًا ورائحة عربيّة إسلاميّة، وكان مؤرخو الحضارة الإسلاميّة، والفكر ومذاهبه من المسلمين يعتبرونهم من فلاسفة الإسلام (انظر: الشهرستاني وابن حزم، «في الملل والنحل»!).

وباختصار نقول إن كل باحث يحمل غالبًا ذاتيّتين، أو نوعين من

الذاتيّة، أولاهما ذاتيّته الفرديّة، وأخراهما ذاتيّته الجماعيّة، أي الملامح المميّزة لثقافته وحضارته عن كل ثقافة وحضارة أخرى. وبالتالي يكون التوجس المتبادل الذي قد يصل إلى درجة التربّص أحد أهمّ هذه الملامح الموجهة والمؤثّرة في مسار البحث العلمي، وبالطبع، في نتائجه كذلك.

والمترجم قارئ مفسّر للنصّ، يعيش حالة معاناة معرفيّة يتجوّل فيها خلال هذا النص، خلال كل أبعاده الممكنة ليخرجه في لغة أخرى يحاول أن يحملها كل ما يمكنها أن تحمل من أبعاد النص الأصلي. ولكنّه في كل الحالات كثيرًا ما تفلت منه أبعاد واحتمالات، قد يكون هو العاجز عن الإمساك بها وقد تكون أدوات لغته ووسائلها هي العاجزة عن تلقي أبعاد النص في لغته الأخرى، أستغفر الله. هل قلت لغته قد تكون هي العاجزة. بل أريد أن أقول إنّها بالتأكيد لن تؤدي بشكل مباشر ومطابق، وهذا أمر طبيعي جدًّا ولكن لها وسائلها وطرقها المختلفة بالضرورة عن وسائل لغة النص وطرقها.

ولماذا نذهب بعيدًا -لنبق داخل إطار لغة النص الأصلي، وننظر عندما نحاول ترجمته إلى هذه اللغة ذاتها بمفرداتها وصيغها وتراكيبها. أي عندما نحاول تفسير النص، ولنقل عندما نفسر نحن المسلمين العربيي اللسان نص القرآن الكريم سواء بفصحانا الحديثة المعاصرة، أو كما نرى عادة عندما نحاول تقريب مفاهيم هذا النص إلى أذهان بني قومنا من غير المثقّفين وبلغة الحياة اليوميّة! هل ترانا إذن ننقل كل أبعاد النص وإمكاناته الكامنة فيه؟ بل هل نقلها أو نقل أغلبها أسلافنا من المفسّرين؟ الإجابة هي كلا.. إن نعيش

إلا محاولات، لابد أن تستمرَ وأن تتطوَر وتظل مع ذلك أعماق النص الكامنة فيه قادرة على المزيد من التفجُر بالمعاني والاحتمالات اللامحدودة.

إن الذي يقرأ تفاسير القرآن منذ مقاتل والطبري حتّى اليوم سيرى نفسه أمام بحر متلاطم الأمواج بلا شطآن، وله بعد ذلك أن يتأنى كثيرًا قبل أن يصدر الأحكام السريعة والحاسمة على مترجم أو على ترجمته!

وبالإجمال أرى أن ثمة مشكلتين تواجهان مترجم معاني القرآن أو يواجههما هو، ذلك المترجم المستشرق الذي كنا نحاول استكشاف بعض ملامحه أنا وأنت أيها القارئ.

المشكلة الأولى: مشكلة لغويَة، بالمعنى الكامل لكلمة اللغة، لغة: أي حضارة؛ كانت واضحة دائمًا في حالات عجز كثير من المستشرقين [illegible] عجز عن إدراك عميق للغة العربيّة، لغة التراث الإسلامي [illegible]و بالدرجة الأولى وقبل أن تكون [illegible] لغة القرآن الكريم موضوع الترجمة والدراسة، لابد من تأكيد مصطلح «عربيّة القرآن» وهي غير العربيّة المطلقة، ثم لغة الشعر العربي الذي يشكل أهم أرضيَة من أرضيَات القرآن، أو أهم قاعدة من قواعده التي يقوم عليها... إن الإشكاليّات اللغويّة لترجمة معاني القرآن هذه قد أثَرت وستظلَ تؤثّر دائمًا إيجابًا وسلبًا ـ وما أكثر السلب ـ في الدراسات الاجتماعيّة والتاريخيّة

والفلسفيّة والفكريّة للإسلام، والتي قد يدّعي كثير من الباحثين أو جلّهم موضوعيّتها التامة وحيادها الكامل، ونزاهتها الأكيدة.. كيف ذلك ونقطة الانطلاق، أي انعكاس صورة صحيحة للنص المؤسّس لكل علوم الإسلام وهو القرآن، صورة محرفة أو منحرفة أو مستعصية أو شبه مستعصية، سواء أكان كل ذلك عن قصد أم عن غير قصد، فالمهم هو سير البحث ثم النتائج وفعاليّاتها.

ولسوف ترى أيّها القارئ المنتبه من خلال الجانب التطبيقي لهذه الدراسة وهو مراجعة ترجمات معاني القرآن باللغة الفرنسيّة، ودراستها التحليليّة التصنيفيّة. كيف تتبدّى صور القصور في إدراك مداخل اللغة العربيّة ومخارجها، ونفسيّتها، كيف يتبدّى هذا على مستوى الفهم المعجمي، ثم التركيبي، ثمّ البلاغي المجازي على وجه الخصوص، أو قل بل كل ذلك على السواء.

المشكلة الأخرى: مشكلة تكمن في جانب خطير لا يقلّ خطورة عن سابقه، وإن كان يمهّد له ويؤدي إليه، ألا وهو أثر الدين والحضارة وسياقها ونسقها المعرفي على المترجم، ثم على الترجمة..

وعندما أقول «الدين» فأنا لا أقصد المترجم المؤمن بدين كتابي كاليهوديّة أو النصرانيّة والملتزم به.. بل إنّه قد يكون كذلك، وقد يكون ملحدًا أو غير ديني، أو مدّعيًا لذلك، أو علمانيًا أو مدّعيًا لذلك، وليس هذا مجال اهتمامي.. المهم، أن ثقافته وتاريخه وحضارته

وتكوينه النفسي والفردي والمجتمعي يقوم ضمن ما يقوم على إطار من أطر الرؤية كان في أساسها أو أحد أهمّ أسسها، وهو الكتاب المقدّس (بعهديه القديم والجديد) الذي كان له وللموقف منه - إيمانًا أو إلحادًا - آثاره المهيمنة الكامنة في وعي الحضارة الغربية وفي لاوعيها.

ومترجم القرآن الكريم، في حالة وعيه ببعده الإيماني بكتابه المقدّس، ولننقل هذه المرّة ببعده الإيماني بالعهد القديم، سنجده يقول في مقدّمة ترجمته أو في ختامها: والآن عليَّ أن أقوم فأتطهّر وأتوب إلى الله، من ترجمتي هذه الخرافات والأكاذيب المحمّديّة»!

إنّنا هنا أمام ترجمة عبريّة متهافتة ضعيفة، عاجزة ومشوّهة، قام بها واحد من أهمّ من أثّروا على من جاء بعدهم في أوروبا وهو المستشرق الألماني المتخصّص في اللغات الساميّة وهو «ركندورف» (Rekendorff) لأنه مؤمن لا يرى سوى إيمان صحيح، وما سواه خرافات، ولابد قبل أن نتجاوزها، أن ننوّه بأن ترجمته تلك لم تنتشر، ولكن اطلع عليها كثير من المترجمين التالين له، العارفين باللغة العبريّة.

وعندما يحاول مترجم عبراني آخر حديث - وهو بدوره مؤمن إذ هو حاخام - أن يعتدل، ويميل إلى درجة من الموضوعيّة، فسوف يقول في مقدّمته التي تحمل نظرته ومنهجه وهدفه بدرجة ما: «إن القرآن من أهمّ النصوص المقدّسة الساميّة وأعظمها، وهو كتاب الإسلام، وتدين به ملايين المؤمنين في العالم». وسيقول بتفصيل جميل كيف تعلّم العربيّة في القدس (عاصمة فلسطين التي كان يقطنها قبل

سنة ١٩٤٨) ثمّ في دمشق، ثمّ في ألمانيا، وأنّه وجد بعد جهد وتمحيص أن اختيار اللغة العبريّة القديمة، أي لغة العهد القديم هي أنسب مستوى لغوي لتلقي لغة القرآن، أي لترجمته إليها، وهذا قول قد نتّفق معه فيه إلى حدّ كبير وبحذر شديد.

ولكننا حين نجوس معه خلال ترجمة النص القرآني فسوف نبتسم ثمّ نضحك ثمّ نبكي، وما أكثر ما يضحك في ترجمات القرآن والشعر «ولكنّه ضحك كالبكا» كما يقول المتنبّي، شاعر العرب الكبير.

سوف نجد خلال الترجمة ـ التي أفردنا لها وسوف نفرد صفحات أخرى من بحث غير هذا ولكن الهموم تتداعى ويمسك بعضها بتلابيب بعض ـ أنّه يسقط منها كثير من الكلمات والعبارات والجمل الكاملة، وهذا عيب شنيع في كثير من الترجمات الفرنسيّة كذلك.

كما سوف نجد التعليقات والهوامش الموجّهة غالبًا إلى القارئ ذي اللسان العبري، والتي تحاول جذبه إلى العهد القديم، وتلقي على القرآن ظلالاً قاتمة، وتحاول تفنيد القرآن زاعمة إفحامه.. ويأتي ذلك على وجه الخصوص مع السياقات القرآنيّة التي تتحدث عن اليهود، أو قصص أنبيائهم.

ولا ينفصل عن ذلك تصرفه المشابه تجاه السياقات المشابهة لقصص العهد القديم، فصلات القربى القريبة بين قصص القرآن وهذه القصص، كانت قد اختلطت على العرب المعاندين في عهد النبوّة من وثنيّين وأهل كتاب، ثم اختلطت على بعض المفسّرين بدرجة ما، ثمّ على المستشرقين (مع اختلاف في طرق المعالجة وفي

الغايات)، فقال المعاندون من العرب الوثنيّين في عهد النبي- «إن هذا إلا أساطير الأوّلين». والمستشرقون الذين يصرّون على ربط قصص القرآن بمثيله في العهد القديم وعلى ضرورة المطابقة بينهما، عندما وجدوا فروقًا جوهريّة في بعض سياقات القصص القرآني قالوا إن محمدًا لم يفهم التاريخ، أو لم يفهم العهد القديم، وقالوا من ثمّ بنقص أو خلل في نص القرآن.

أمّا المفسّرون المسلمون، فحاشا أن نصنفهم مع هؤلاء ولا مع أولئك، ولكنّهم فهموا القصص القرآني على أنّه نوع من القصص التاريخي، أو حكاية التاريخ، فحاولوا التأويل، وتصوّروا ضرورته في مواضع الحذف، في مواطن قرآنية لا تذكر كثيرًا من أعلام الأماكن والأشخاص، وكذلك الأعداد والسنين فابتعدوا بذلك عن أهداف القصص القرآني الأساسيّة والرئيسيّة، وهي التي يقول عنها القرآن ذاته: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: آية ١١١]. و: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: آية ١٢٠]. ولكن لابد أن نؤكّد هنا أن البلاغيين، وعلماء الإعجاز قد أدركوا أكثر من غيرهم هذه اللفتات فعالجوها بطرق أكثر فعاليّة، وأقلّ إجحافًا بحقوق النص الكريم.

إن المترجمين غالبًا ما يسقطون في هذه الفجاج الشائكة، فيلبسون بعض السياقات القرآنيّة ذات الصلة بشبيه لها في العهد القديم، أو في الكتاب المقدّس أقنعة الكتاب المقدّس عن وعي أو عن غير وعي..

وذلك على مستوى المفردات والتراكيب والمعاني.. وذلك من

أعوص المشكلات في الترجمات، وقد يسكت عنها كثير من المسلمين قارئي الترجمات، إذ هي أحيانًا ذات صلة بما يسمّى لدى المسلمين بالإسرائيليات، وهو باب طرق كثيرًا ولم يولج كثيرًا، وبالتالي مازال مفتوحًا ينتظر الحزم والحسم.

من خلال كل ما تقدّم، وبهذا الشكل المختصر الذي نحاول به معالجة الإشكاليّة، يجب أن ندخل إلى عالم ترجمة معاني القرآن الكريم.

أمّا قراءة الترجمة لاستخراج أخطائها فحسب، فهي واردة وضروريّة لتنبيه القارئين المؤمنين الناطقين بالفرنسيّة إليها، وكذلك لتنبيه باحثي اللغة والأدب، ولكن ذلك كلّه جزء صغير من هدفنا. إنّما هدفنا الأكبر هو محاولة رصد ظاهرة تبيّن ما وراء الأخطاء، تحاول بحث أسبابها وربط جزئيّاتها بعضها ببعض، لاستخراج الملامح العامة والمشتركة لكلّ الترجمات في لغة ما، وبالتالي رصد جانب خاص من جوانب الاستشراق ومعرفة ضوابطه ومناهجه، وهو جانب ترجمتهم لمعاني القرآن الكريم.

٢- تاريخ الإشكاليّة:

كان لابد قبل الدخول في التفاصيل التقنيّة لترجمة معاني القرآن أن نطرح على أنفسنا أسئلة، مفادها: هل يجوز شرعًا أن يُترجم القرآن؟ وإذا جاز فهل يمكن عمليًا وتقنيًا؟ وإذا أمكن فهل لنا أن نخرج من خلال وقائع الترجمة خلال التاريخ بصورة واضحة لمعالم الصعوبات التي يلقاها المترجم؟

أمّا السؤال الأوّل وهو الجواز الشرعي فقد كان مطروحًا خلال

تاريخ الإسلام، ولكنّه في صدر الإسلام وإبان نزول الوحي لم يكن مثار جدل كما صار بعد ذلك. ويحكي كثيرون من مؤرخي الإسلام أنّ الفرس عندما بدأوا يدخلون في الإسلام سألوا سلمان الفارسي الصحابي الجليل أن يكتب لهم سورة الفاتحة باللغة الفارسيّة، ففعل. ولم يعارض النبي في ذلك ممّا يدل على إباحته، ثمّ يحكي أن بعض الأئمّة الذين كانوا يعلّمون أهل اللغة الفارسيّة القرآن الكريم، منهم أبو موسى الأسواري(٥)، كانوا يفسّرون الآية بالعربيّة لناطق العربيّة، ثمّ بالفارسيّة للناطقين بها. وكل ما ورد عن هذه الفترة من صدر الإسلام مثل إرسال النبي رسائل إلى ملوك البلاد المجاورة، يؤكّد ضرورة ورود آية قرآنية في مثل هذا السياق ولابد أنّ هذه الآيات كانت تترجم، ولابد أنّه كان حول النبي من يعرفون هذه اللغات المجاورة. وكلّ ذلك وغيره من التفاصيل التي لا يستدعي المقام ذكرها بكل تفاصيلها هنا ـ حدا بكثير من الباحثين إلى القول بأن مبدأ ترجمة معاني القرآن إلى لغات غير العربيّة كان أمرًا غير مرفوض ولا محرّم شرعيًا في صدر الإسلام. وقد نفهم ذلك أكثر إذا عرفنا أن كلمة «ترجمة» وكلمة «تفسير» كانتا مترادفتين أو شبه مترادفتين، فقد كان ابن عبّاس يدعى «ترجمان القرآن». وإذا تأكّد أنّه لم يكن ينقل معاني القرآن إلى لغة غير العربيّة، وإنّما كان يشرح ويفسّر، رأينا كيف يتداخل التفسير مع الترجمة فالترجمة تفسير والتفسير ترجمة، وإن بدرجة ما.

ثمّ اختلف أئمّة المسلمين وفقهاؤهم حول مبدأ جواز ترجمة القرآن شرعًا، أو عدم جوازها. فذهب الشافعيّة(٦) إلى أنّه لا تجوز قراءة القرآن بلسان غير العربي، سواء في الصلاة أو في غير الصلاة، وسواء

أمكنت العربيّة القارئ أو عجز عنها، فإن أتى بترجمة فى الصلاة لم تصحّ صلاته، وبه قال جمهور العلماء، ومنهم مالك وأحمد وأبو داود، كما رفض المالكيّة كذلك جواز الصلاة بغير العربيّة.

ويقال إن الإمام أبا حنيفة[٧] كان أجازها، ويقال إنه عاد فتراجع عن ذلك، ورفض ابن قتيبة[٨] (٨٢٨ ـ ٨٨٩م) من وجهة أدبيّة جواز ترجمة القرآن، كما ورد فى كتابه «تأويل مشكل القرآن» منطلقًا من قوله بوجود المجاز فى العربيّة، وعدم وجوده فى غيرها من اللغات.

ومنع ابن حزم[٩] (٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) تلاوة القرآن فى الصلاة بغير العربيّة.

ويرى الإمام الغزالى[١٠] (١٠٥٨ ـ ١١١١م)، أن القرآن متعبد بلفظه، ولذا فلا مجال لأن تؤدى التراجم المقصود الحقيقى لكلام الله.

وعارض الرازى[١١] (١١٥٠ ـ ١٢١٠م) فى تفسيره «الكشاف» مبدأ الترجمة. وكذلك ابن قدامة[١٢] (ت ٦٢٠هـ)، وبه قال الشافعى وأبو يوسف. وكذلك عارض ابن تيمية(١٣) (١١٩٢ ـ ١٢٥٥م) جواز الترجمة، مع القدرة على العربيّة أو العجز عنها.

ثمّ عارضه الزركشى[١٤] (١٣٤٣ ـ ١٣٩٢م) مع القدرة أو العجز فى الصلاة أو فى غيرها. وكذلك النيسابورى(١٥) (ت ١٤٦٣م) فى «غرائب القرآن»، ويرى أن ذلك يخالف العقل.

ولم يكن السيوطى[١٦] (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م) فى كتاب «الإتقان فى علوم القرآن» آخر من عارض، بل كان الأستاذ الإمام محمّد عبده[١٧] الإصلاحى الكبير (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) من أشدّ معارضى مبدأ ترجمة القرآن، وسمى محاولة ذلك خطبًا عظيمًا، كما يقول فى «تفسير المنار».

إذا لاحظنا أن أكثر تلك المعارضات كان في إطار الحديث عن التلاوة في الصلاة، فقد أجاز الترجمة والقراءة بها في غير الصلاة كثيرون.

أمّا المجيزون فمنهم:

- الإمام النسفي[١٨] (ت ٧١٠هـ/ ١١٤٩م).

- الإمام الصنعاني[١٩] (١٠٥٩ - ١١٥٢م) الذي قال بإمكان الصلاة بغير العربيّة.

- الإمام الشاطبي[٢٠] (ت ٥٩٠هـ/ ١١٤٩م).

أمّا أهم معركة كبيرة دارت حول تحريم الترجمة وجوازها، فقد وقعت إثر سقوط الخلافة العثمانيّة، ودارت تفاصيلها الحامية بين طرفين:

- الطرف المانع بدرجة شديدة وحاسمة من التحريم، وكان يقوده الشيخ مصطفى صبري، مفتي الدولة العثمانيّة (سابقًا)، وقد ألّف كتابًا سمّاه «مسألة ترجمة القرآن»، حمل فيه حملة شعواء على القائلين بالجواز، ووصلت إلى درجة الاتّهام والتشكيك في العقيدة، وتبعه عدد كبير من علماء الإسلام في ذلك الوقت، نذكر منهم الشيخ حسنين مخلوف، والشيخ المطيعي وغيرهما، ثم وصل الأمر بعالم معاصر مثل محمّد شاكر إلى تأييد دعوة الأزهر عام ١٩٢٥م في إحراق ما ورد إلى مصلحة الجمارك المصريّة من ترجمات القرآن باللغة الإنجليزيّة، وإلى حفظ القرآن من عبث العابثين وزندقة المتزندقين.

- والطرف المجيز بدرجة تصل إلى الحماسة، وكان يقوده

الشيخ محمّد مصطفى المراغي(٢١) (١٨٨١ ـ ١٩٤٥م) شيخ الأزهر الذي كان من أبرز الذين أجازوا الترجمة، بل جهد ونادى بضرورتها مادامت لا تذهب بالنص العربي، ولكنّه قال بعدم تسمية الترجمة قرآنًا. وقال بأن استنباط الأحكام الشرعيّة والقواعد الفقهيّة لا يكون إلا من القرآن العربي. ولعلّه أوّل من دعا إلى استخدام عبارة «ترجمة معاني القرآن» وليس ترجمة القرآن.

ومن أهمّ متابعيه على ذلك محمّد فريد وجدي[٢٢] الذي قال بضرورة الترجمة، حتّى لا يعطل القرآن عن الدخول إلى معترك الإفهام، وحتّى يكسب أنصارًا في الأمم الغربيّة.

وعلى أيّة حال فإن المترجمين في العالم مسلمين وغير مسلمين لم يكونوا لينتظروا موافقة العالم الإسلامي أو رفضه وتجويزه أو تحريمه، فانطلقت حركة الترجمة، بل إن الأمم الأعجميّة كانت قد سبقت هذه المعارك الفقهيّة وقطعت منذ قرون شوطًا لا بأس به في هذا المجال.

وأمّا السؤال الثاني وهو إمكان الترجمة عمليًا وتقنيًا، فقد صاحب طرح الإشكاليّة في كل مراحلها، وكان إمكان الترجمة وتأدية معاني القرآن العربي بها دائمًا ومازال موضع شك وتخوّف علمي كبيرين.

بل إنني بعد كل ما قرأت نظريًا عن إشكاليّات الترجمة علميًا وفنيًا، ثم بعد ممارسة قراءة تحليليّة نقديّة لعدد من الترجمات العبريّة والفرنسيّة للشعر ومعاني القرآن لم أزدد إلا حذرًا، وتحوطًا، بل وتخوّفًا، ثم تمسكًا تامًا بنسبيّة المعايير والمناهج والأحكام في هذا الصدد.

لقد ذهب الجاحظ[٢٣] (٧٧٥ ـ ٨٦٨م) في حديثه عن مبدأ الترجمة عمومًا وليس ترجمة القرآن خصوصًا إلى «أن المترجم لن يقدر على أداء الأفكار الأجنبيّة وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقّها، وصدقها إلا إذا بلغ في العلم بمعانيها واستعمالات تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها مبلغ المؤلف الأصلي، كما لا يمكن للمترجم أن يؤدى أبدًا ما قاله الحكيم على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدى الأمانة فيها ويقوم فيها بما يجب على الوكيل أن يقوم به نيابة عن الأصيل، وهيهات أن يكون مترجم الفلسفة اليونانيّة من العرب مثل الفيلسوف اليوناني نفسه... ومتى كان ابن بطريق وابن المقفّع مثل أرسطوطاليس، ومتى كان خالد (أي خالد بن يزيد بن معاوية أحد أوائل التراجمة العرب) مثل أفلاطون؟».

ثم نأتي إلى عصرنا الحديث فنجد شاعر النيل، حافظ إبراهيم[٢٤] (١٨٧٢ ـ ١٩٣٢م) يؤكّد أن الأصل والترجمة لا يمكن أن يكونا كالحسناء وخيالها في المرآة، وبذا تشكل الترجمة نوعًا من الخيانة أو تحتوى على نوع من الخيانة للنص الأصلي.

وأخيرًا وليس آخرًا يحدّثنا أحمد حسن الزيّات[٢٥] (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨م) وقد عانى الترجمة وقاسى صعوباتها:

«أنا أنقل النص الأجنبي إلى العربيّة نقلاً حرفيًا على حسب نظمه في لغته، ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل، فأقدّم وأؤخّر دون أن أنقص أو أزيد، ثم أعود ثالثة، فأفرغ في النص روح المؤلّف وشعوره بالتحفظ الملائم والمجاز المطابق، والنسق المنتظم، فلا

أخرج من هذه المراحل الثلاثة إلاّ وأنا على يقين جازم بأن المؤلف لو كتب قصّته أو قصيدته باللغة العربيّة لما كتبها على غير هذه الصورة».

ولذا وضع باحثو الترجمة شروطًا أهمّها أن يكون مترجم الأدب أديبًا، ومترجم الشعر شاعرًا راسخ القدم فى هذا الفنّ أو ذاك، كما أن مترجم الطبّ لابد أن يكون طبيبًا.

ويبدو أن الشاعر المصرى إبراهيم ناجي والشاعر اللبناني إسكندر فيّاض قد استوعبا مقولة الزيّات هذه، فقد ترجم كل منهما قصيدة «لامارتين» الرائعة «البحيرة»، وخرجت ترجمتاهما من أروع ما يمكن أن يقوم به شاعر يترجم شعرًا. أمّا الأوّل فقد حافظ على شكل الرباعيّات الوارد فى القصيدة الأصليّة ويبدؤها قائلاً:

من شاطئ لشواطئ جدد يرمي بنا ليلٌ من الأبد

أمّا الآخر فقد جعلها نونية بنَاها على بحر قصيدة ابن زيدون ويبدأها بقوله:

أهكذا دائمًا تمضي أمانينا نطوي الحياة وموج العمر يطوينا!

ولكن كيف يكون موقف المترجم عندما يكون أمام نصّ القرآن الكريم، والقرآن ليس شعرًا وليس نثرًا أدبيًا ولا علميًا، ولكن فوق ذلك كلّه مختلف عنه تمام الاختلاف؟

وقد كان رفض الأستاذ الإمام محمّد عبده ترجمة معانى القرآن راجعًا فى بعض جوانبه إلى الاحتياط لتلك المشاكل التقنيّة إذ يقول:

«ومن المعلوم بالقطع لدى العارفين باللغات المتعدّدة أنّه لا يمكن أن تتفق لغتان من لغات العالم فى جميع مفرداتهما، ولا فى طريق

دلالتهما، فإذا فرض اتفاق لغتين في حقيقة لفظ واحد ومجازه وكنايته بحيث يترجم أحدهما بالآخر، فلن يمكن مثل هذا في الأوضاع الشرعيّة، كالألفاظ الموضوعة في القرآن لصفات الله تعالى وغير ذلك من «عالم الغيب».. ولذلك ذهب بعض علماء اللغات وعلماء الاجتماع إلى استحالة قيام لغة مقام لغة أخرى في آدابها ومعارفها ومعانيها العقليّة والشعريّة. مثال ذلك الألفاظ الموضوعة ليوم القيامة، وهي كثيرة، كل لفظ منها له معنى تدل عليه مادته العربيّة، وهذا المعنى مراد لتحققه في ذلك اليوم كالواقعة والطامة والصاخة والحاقة والغاشية... إلخ.

وقد نرى مفيدًا في هذا الصدد أن نورد تفصيلاً آخر للنيسابوري، الذي قلنا إنّه عارض في «غرائب القرآن» الترجمة قائلاً:

«وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة بأي لغة كانت، وهي كلام البشر، مقام كلام خالق القوى والقدر؟ قالوا: روى عن عبد الله بن مسعود أنّه كان يعلم رجلاً: (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)، والرجل لا يحسنه، فقال: قل: طعام الفاجر، ثم قال عبد الله: ليس الخطأ في القرآن أن تقرأ مكان العليم، الحكيم، إنّما الخطأ بأن تضع آية الرحمة مكان آية العذاب. قلنا: الظن بابن مسعود غير ذلك، قالوا: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ - ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾. ولا ريب أن القرآن بهذا اللفظ ما كان في زبر الأوّلين، لكن بالعبريّة والسريانيّة. قلنا إن القصص والمواعظ موجودة، لا باللفظ بل بالمعنى، ولا يلزم أن يكون الموجود فيها قرآنًا، فإن النظم المعجز جزء من ماهيّة القرآن، والكل بدون الجزء مستحيل»[٢٦].

ويبدو من رواية النيسابورى هذه أنّه كان ثمة حوار وخلاف حول جواز الترجمة وعدمها، وكان بعض محاوريه يحتجّ لجواز الترجمة، بما نقل عن ابن مسعود فى جواز وضع صفة مكان أخرى ما دام ذلك لا يقلب شرعًا، ولا حقيقة دقيقة ولا حكمًا.. ولكن النيسابورى شك فى ورود هذه القصّة عن ابن مسعود. وأكّد على جانب النظم المعجز. الذى لا يمكن أن يترجم.

وقد فصل الزركشى فى أسباب منعه الترجمة قائلاً:

«إن النبى (ﷺ) فى رسالته إلى قيصر لم يكتب إلاّ آية واحدة لمعنى واحد، وهو توحيد الله والتبرى من الإشراك، لأن النقل من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه فإذا كان معنى المترجم عنه واحدًا قلّ وقوع التقصير فيه، بخلاف المعانى إذا كثرت...»[٢٧].

وأما الشاطبى فقد فصل كذلك، وقسم قائلاً:

«إن للغة العربيّة من حيث هى ألفاظ دالة على معانٍ نظرين أحدهما: من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مطلقة دالة على معانٍ مطلقة وهى الدلالة الأصلية. والثانى من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مقيّدة، دالة على معانٍ خادمة وهى الدلالة التابعة.

والجهة الأولى هى التى تشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهى مقاصد المتكلّمين، فلا تختص بأمّة دون أخرى، وأما الجهة الثانية فهى التى يختص بها اللسان العربى، فى تلك الحكاية وذلك الإخبار، فإن كل خبر يقتضى فى هذه الجهة أمورًا خادمة لذلك الإخبار بحسب المخبر والمخبر عنه والمخبر به، ونفس الإخبار فى الحال والمساق، ونوع الأسلوب من الإيضاح والإخفاء والإيجاز والإطناب وغير ذلك،

ولا يمكن لمن اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلامًا من الكلام العربى بكلام العجم على حال، فضلاً عن أن يترجم القرآن، وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة فى القرآن، يعنى على هذا الوجه الثانى، فأما على الوجه الأوّل فهو ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة، ومن ليس فيهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائزًا باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حجّة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى»[٢٨].

وكان تجويز الشيخ المراغى الترجمة مستندًا إلى كلام الشاطبى هذا وأضاف المراغى:

«وأريد أن أقول إن قراءة الأعاجم للنظم العربى لا يدلّهم على الإعجاز فليس فى استطاعتهم فهمه، والأمم العربيّة الآن ومنذ أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربى، وقد انقضى عصر الذين أدركوا الإعجاز عن طريق الذوق... وقد كنا نخاف لو أن الترجمة أذهبت من النص العربى علومه وأسراره ولكنها باقية معه...».

ولكنّه يقرّر بعد ذلك:

«يجب على كل مسلم يعرف العربيّة ويفهمها ألا يحيد عنها فى قراءة النظم العربى إلى قراءة إحدى التراجم...».

ويؤكد - متابعًا الشاطبى - على إمكان ترجمة الدلالات الأصليّة، واستحالة ترجمة الدلالات التابعة أو الخادمة.

والمهم بعد ذلك كله أن الترجمات انطلقت منذ عصر الأندلس حتّى اليوم. وكانت الترجمات الأولى إلى اللغة اللاتينيّة، لغة العلم فى أوروبا. ومن أقدمها وأهمّها ترجمة «روبرت كنت» عام ١١٤٣م، وقد

استند فيها إلى مساعده «بطرس الطليطلي»، وكان دخول الترجمات الأولى إذن عن طريق الأندلس، وكانت كلها تقريبًا تهدف إلى محاولة الرد عليه. ولذا كانت الترجمات غير المصحوبة بالرد في داخلها تحظر على العامة، ويظل تداولها محصورًا في طبقة خاصة مثل الترجمة التي تمت عام ١٥٠٩م. وآخر ترجمات ثلاثة ظهرت متزامنة منذ أقل من عشر سنوات هي ترجمات كل من چاك بيرك، وشوراكي، ورينيه خوّام.. ولكل منها ـ وخصوصًا الأولين ـ حديث طويل عندما ندخل عالم القراءة النقديّة والدراسة التحليليّة المفصّلة.

٢ـ الترجمة .. صعوبات وأخطاء:

إنني بعد معاناة قراءة لغويّة أسلوبيّة بلاغيّة، وقراءة تحليليّة، ومراجعة تحاول تصحيح ما يجب تصحيحه في الترجمات، واضعًا في الحسبان كل ما أوردته مختصرًا في الفصل السابق من هذه الدراسة، مما قاله القدماء والمحدثون حول مبدأ الترجمة وإشكالياتها، وحول صعوبات الترجمة عمومًا، وترجمة النص الأدبي والشعري خصوصًا، ثم حول ترجمة معاني نص القرآن الكريم على وجه الخصوص ـ أكاد أقول إن ترجمة كاملة أمينة تراعي كل جوانب النص القرآني، لم توجد حتى اليوم ولا أعتقدها ستوجد يومًا ما، وحاشا أن يحاط بهذا النص علمًا من كل جوانبه، وإذن فإن مثل هذه الترجمة مستحيلة.

وإذا كانت تفاسير القرآن التي قام بها جهابذة المفسرين المؤمنين، تحاول جاهدة تحقيق درجات في الغوص في بعض جوانب النص، أو الدوران حوله، فإنهم لم يستطيعوا الإحاطة به.. ولذا كان تجديد التفسير واجبًا لابد أن يعيه العقل الإسلامي، وإذا كانت

الترجمة نوعًا من التفسير أو هي هو تقريبًا، كان تجديد الترجمة كذلك ونسبيتها الدائمة أمرًا لا جدال فيه.

وقد لاحظت ما سأحاول عرضه مختصرًا هنا، حول جوانب صعوبة الترجمة:

- جانب يكمن في المفردات الخاصة باللغة العربيّة، والبيئة في شبه جزيرة العرب مهد القرآن، ومهبط الوحي، من ألفاظ تعتبر من مفاتيح هذه الحضارة ولا نظير لها مقابلاً في اللغات الهندوأوربيّة مثل: بحيرة وسائبة، ووصيلة وحام،... ومثل هذه الكلمات تفرض على المترجم أن يكتبها كما هي بالحروف اللاتينيّة، ثم يضع لها هوامش تشرح ما قاله المفسرون العرب المسلمون.
- جوانب التركيب، حيث التقديم والتأخير والحذف والإيجاز، وما للجملة الاسميّة والفعليّة وتكوينهما من دلالات وخصوصيّات، يستلزم كلاً منهما مقتضى الحال، ومقام الكلام، فليست الجملة الفعليّة والاسمية تحويل ولا استخدام هذه يحل محل تلك في لغة القرآن خصوصًا، فإن ذلك لابد سيفقد النص جانبًا عظيمًا من جوانبه التركيبيّة ذات الصلة الوثيقة بالمعنى. أمّا اللغات الهندوأوروبيّة فليس فيها جملة فعليّة تبدأ بفعل، ولذا فإن أكثرهم قد لا يفرّقون بين الجملتين، وقد يجعلون الجملة التي تبدأ بالفعل جملة مقلوبة، قياسًا على الجملة الهندوأوربيّة التي تبدأ بالاسم لا بالفعل.
- جانب الأدوات والحروف، فأكثر أدوات التوكيد لا مقابل لها في

اللغة الهندوأوروبيّة، ولذا فهي تسقط في الترجمة، وإن روعي دورها اضطر المترجم إلى استخدام بعض الظروف التي يتسع مدلولها عن مدلول أدوات التوكيد، التي هي في الغالب عناصر إشاريّة ترتبط بأعضاء الجملة العربيّة ارتباطًا ذا مدلول خاص معنى ولفظًا. أما حروف الجرّ فإن صلتها بالفعل صلة وثيقة من حيث لزومه أو تعديه لمفعول واحد أو أكثر، وحروف الجرّ متنوّعة وفيرة في العربيّة، وبينها فروق دقيقة لا يحل معها أحدها محل الآخر إذ الفعل وطبيعته هما الموجهان للحرف وهما اللذان يستلزمانه. وحروف العطف العربيّة كذلك على هذا القدر من التفصيل والتعقيد بل هي أكثر.

- جانب الفعل والزمن واسم الفاعل الدال على المستقبل بقرائن تركيبيّة، واستخدام القرآن المضارع الدال على الحال والاستقبال للدلالة على [illegible] مع واو المضارع القصصي، واستخدام الماضي للدلالة على المستقبل فيما يخص مشاهد القيامة... إلخ.

- جوانب البلاغة العربية من معان وبيان وبديع على وجه الخصوص فإن عدم القدرة على أداء الجناس والطباق والتورية، سيفقد النص جانبًا من أكبر جوانبه وأهمها. أما فواصل الآيات ورءوسها وتوازي الجمل في تركيبها وما في ذلك من موسيقى تقترب من الشعر وما هي بشعر، ووزن المقاطع وما فيها من إيقاع ذي جمال خاص، فكل تلك أمور لا نستطيع أن نطالب اللغات الهندوأوروبيّة بضرورة مضاهاتها أو الإتيان بمثلها المكافئ لها.

انظر إلى التوازي المعجمي والصرفي والتركيبي في الآيات:
﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.

وقل للمترجم الهندوأوروبيّ غير المسلم، بل والمسلم كيف سينحت في لغته جملاً توازي هذه الجمل وتضاهيها في التركيب على وجه الخصوص؟

- وثمة جانب دقيق يتّصل بالناحية الأدبية، وهي ما يسمّى في النقد الأدبي وعلومه بنقل ظلال المعاني، الذي يؤدي إلى نقل الصورة الأدبيّة بكاملها، وإذا كان ذلك صعبًا، فإن نقل ظلال المفردات وما لها من صلة بهذا الجانب أمر يكاد يكون مستحيلاً، أو هو حقًا مستحيل.

- وأسلوب القرآن يحقق انسجامًا وتوافقًا بين العقل والعاطفة وهو ذو قوّة وسمو وتأثير جعل العرب الفصحاء في زمن الوحي يظنّونه سحرًا أو كلامًا فوق طاقة البشر. انظر إلى قول الوليد بن المغيرة عند سماعه القرآن:

«إن له لحلاوة..

وإن عليه لطلاوة..

وإن أعلاه لمثمر..

وإن أسفله لمغدق..

وإنه يعلو ولا يعلى عليه».

إن الخصوصيّة الأدبيّة والنفسيّة في القرآن تجعل الترجمة

الحرفيّة تضيع على النص جانبًا ضخمًا من جوانب إعجازه الكامن في هذا الجانب فالمفردات ومقابلاتها لا تستطيع أن تؤدى ذلك.

- أما جوانب انفتاح النص القرآني على أبواب المعاني المتعدّدة المتجدّدة مما جعله يفرض على المسلمين المؤمنين ذوى اللسان العربي أو غير العربي تعدّد التفاسير وتنوّعها واستمرار تجدّدها، ويظل بعد ذلك مليئًا لا يخرج كل ما فيه مرّة واحدة ولا على مدى القرون والأزمان:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف رقم ١٨: آية ١٠٩].

و﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان رقم ٣١: آية ٢٧].

وقد يستنتج القارئ الناقد للترجمات، أن المترجم كثيرًا ما يقع تحت تأثيرات كثيرة حاولت جمعها وتركيزها أو اختصارها المركز في تأثيرين خطيرين هما:

أوّلاً: قلّة المعرفة أمام الدلالات القرآنية عامة، وأمام تلك التي يقول عنها القرآن ذاته إنّها من المتشابه الذى «لا يعلم تأويله إلا الله» أو «الراسخون فى العلم» (على أى من الرأيين فى تفسير هذه العبارة أو الآية كلّها)، وذلك يعوق المترجم عن فهم واضح لهذه الآيات يمكنه من صوغه فى لغته المتلقية المترجم إليها. خاصة عندما تكون هذه السياقات موضع خلاف بين مفسّري القرآن أنفسهم مع تصوّر حرصهم الشديد ومحاولاتهم المحافظة على أكثر ما يمكنهم من جوانب نص القرآن. وإذا تصوّرنا

للمترجم درجة فائقة من المعرفة بالعربيّة وعلومها وعربيّة القرآن وعلومه، واستقصائه عددًا كبيرًا من التفاسير العربيّة الإسلاميّة (كما فعل أندريه ميكيل إذ كتب ترجمة لسورة الواقعة وحدها يقع في أكثر من مائتين وخمسين صفحة ومازال ينتظر نقد المسلمين العارفين بالقرآن وعلومه)، بعد كل ذلك يَبقى جانب اللغة المتلقّية، وقدرتها على التلقّي، ووسائلها التي تختلف بلا أدنى شكّ عن وسائل العربيّة ناهيك عن العربيّة القرآنيّة.

وثانيًا: التأثيرات المتعدّدة التي رأيناها تحيط بالمترجم المستشرق من جوانب عديدة، والتي رأينا بعضها في سياق الحديث عن الاستشراق والمستشرقين، منها قناعات دينيّة أو لا دينيّة، وقناعات ثقافيّة وحضاريّة وتاريخيّة تكوّن نظرته، وقد تتلبس بها، وقد لا تحميه من الوقوع في الذاتيّة، الذاتيّة الفرديّة والجماعيّة على السواء.

إن مترجمًا مثل أندريه شوراكي، لا يعرف العربيّة بدرجة تلائم خطورة التصدي لهذه المهمّة الشاقة، قد لجأ إلى اتخاذه العبريّة، لغته الأم، ثم بَعْض ما يعرف من اللهجات العربيّة المغربيّة، ولتنقل لهجة الجزائر مسقط رأسه ومهد طفولته وشبابه الأوّل ـ وسيطين لدخوله عالم القرآن وعالم ترجمته فقد حاول الاحتماء وراء عنصرين رآهما سبيلاً إلى اقتحام ترجمة النص القرآني:

١ـ المفردات العبريّة المقاربة للمفردات العربيّة، إذ تنحدران من أصل مشترك وعام هو الأصول «الساميّة» المشتركة، التي

كثيرًا ما تتفق فى النطق اتفاقًا تامًا، وتتقارب فى الصرف وصياغة المفردات تقاربًا كبيرًا، وخدعه ذلك خداعًا كبيرًا كما خدع ولا يزال يخدع كثيرًا من العرب الذين يعرفون بدرجة أو بأخرى شيئًا عن اللغة العبريّة (وهى موجة تجتاح عالم الدارسين أو المثقّفين العرب اليوم) وهم ينسون كما نسى شوراكى أن بين المفردات المتحدة أو المتشابهة فى العربيّة والعبرية، أو فى اللغات الساميّة كلّها عمومًا وخصوصًا وجهيًا أو مطلقًا يصيب المعانى فى صميمها ويؤدى إلى كثير من الخلط.

وهموم ترجمة شوراكى تفوق الحصر، والمآخذ العلميّة اللغويّة عليها بلا حدود، ويكفى هنا كمثالين فقط أن نذكر بترجمة كلمة «القرآن»، اسم العلم بكلمة l'appel وكتابته كلمة «الدعوة» لسبب يراه بسيطًا وكافيًا وهو اتفاق كلمة «قرأ» أصل اشتقاق المصدر «قرآن» فى العربيّة مع qara (قرا)، العبريّة التى تعنى دعا، نادى، سمّى. وهو خداع لغوى أو «أيديولوجى» واضح. أما عن ترجمة «الرحمن الرحيم» فحدث ولا حرج إذ يقول «matriciant, matric[illegible]» وذلك لتوحد الجذر العربى، «رَحِمَ» والعبرى «rehem» التى تعنى «رَحِمَ» كذلك ونسى أن الحديث إنّما يقول بعكس ذلك التوجه تمامًا، أى إن الرّحم هو الذى اشتقّ من اسم «الرحمن» (أنا الرحمن خلقت الرحم واشتققت لها اسمًا من اسمى). وإن كان كثير من المسلمين العرب المقيمين فى فرنسا، ومنهم مؤرّخون وأساتذة فى جامعات شمال إفريقيا وفرنسا قد وقعوا فى الخطأ فزكوا هذا الذى ذهب إليه. ولقد كنت سلمت شوراكى قائمة طويلة بما ينبغى إصلاحه فى ترجمته،

وكان وعد بذلك الإصلاح ولكنه لم يفعل حتى الآن، ولقد أبلغت الأزهر بذلك إثر عودتي من الدراسة في فرنسا سنة ١٩٨٧م، ثم نبهت عليه مرارًا في كثير من المحاضرات والبحوث. وهو قد ذكر أسماء كثير من المسلمين العرب قال إنهم راجعوا ترجمته، ومع ظهور هذا الكم الكبير من الأخطاء، إما أن يكون أهمل ملاحظاتهم كما أهمل ملاحظاتي، وإما أنّه لم يستشرهم أصلاً أو أنّه استشار غير أهل الاختصاص، والله أعلم.

وقد سبق أن قلت في الفصل السابق لهذا إن للكتاب المقدّس تأثيره الشديد على أكثر المترجمين في الغرب، بل على أكثر المستعربين والمستشرقين سواء آمنوا بهذا الكتاب أو لم يؤمنوا به، ينعكس بكثير من الوضوح على الترجمة ويلقى عليها ظلالاً تكاد تخرجها عما جاءت به أو لأجله.

أما جاك بيرك فلم يعرض لترجمته قبل نشرتها الأولى عام ١٩٩٠ بل بعدها وبعد مجيئه إلى مصر والتدريس في الأزهر وبعد تكليف الإمام الأكبر شيخ الأزهر لي بمراجعتها وتصحيحها وإرسال التصويبات إلى المترجم الذي رحّب بذلك وأصلح ما يربو على المائة والخمسين موضعًا، وقد قلت في تقريري المقدّم إلى الأزهر قبل إرساله للمترجم إن دراستي وملاحظاتي تختص بنص الترجمة ذاته، لا بدراسته عن القرآن، التي تحتاج إلى إفراد أعمال علميّة كاملة، وقد صدرت النشرة أو الطبعة الثانية عام ١٩٩٦ مزوّدة بأكثر ما ارتأيت من تصويب وإصلاح، وقد شكر على ذلك ونوّه به في بداية الطبعة الثانية، وقال إنه أفاد من ذلك كثيرًا وإنّه به مدين.

ويبقى أن أقول إنني أثناء مراجعة الترجمة هذه حاولت مقارنة مواضع الأخطاء بمثيلاتها لدى مترجمين آخرين هما حميد الله الذي صحّحت له لجان من العلماء في «الرياض» ترجمته، ودونيس ماسون التي راجعها لها وصححها الشيخ صبحي الصالح ـ رحمه الله ـ في المجلس الإسلامي الأعلى في «بيروت». ولكني وجدت أن هاتين الترجمتين بعد تصحيحهما ما زالتا تحتويان أخطاء، وأقول إن ترجمة جاك بيرك بعد مراجعاتي مازال بها ما بها من الأخطاء وهي تستدعي كما تستدعي كل ترجمة أخرى المزيد من الإصرار على المراجعة ومحاولة التصويب. وذلك مجال لن يُغلق أبدًا، ما دام عالم التفسير وعالم الترجمة مفتوحين، وهذا أمر طبيعي.

وقد حاولت تبويب الأخطاء، فوقع ذلك في خمسة فصول، وقد يساعد ذلك على مزيد من الدراسات التقنيّة للترجمات. وهذا ما أزعم على الأقل.. وجاءت تلك الفصول كما يلي:

النوع الأول: يتمثل في سقوط أو إسقاط كلمات أو عبارات أو جمل كاملة، لم تترجم أساسًا، ويؤثر سقوطها أو إسقاطها تأثيرًا سلبيًا على المعنى، منها ما يلي:

١ـ ص ٢٣٩: [الآية ٧٦ من سورة هود (١١)].

﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾، سقوط كلمة ﴿عَذَابٌ﴾.

٢ـ ص ٢٥٥: [الآية ٩٦ من سورة يوسف (١٢)].

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾، سقوط العبارة ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾، كما أن المترجم ذكر: «ألقى القميص عليه»!

٣ـ ص ٢٩١: [الآية ١٢١ من سورة النحل (١٦)].

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، سقوط الجملة الفعليّة: ﴿اجْتَبَاهُ﴾.

٤ـ ص ٣٠٤: [الآية ٩٧ من سورة الإسراء (١٧)].

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، سقوط الجملة الأخيرة كاملة ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

٥ـ ص ٤٣٦: [الآية ٤٥ من سورة الروم (٣٠)].

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾، سقوط العبارة: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.

٦ـ ص ٤٣٩: [الآية ١٣ من سورة لقمان (٣١)].

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، سقوط النعت: ﴿عَظِيمٌ﴾.

٧ـ ص ٤٦١: [الآية ٣٧ من سورة سبأ (٣٤)].

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، سقوط: ﴿آمَنَ﴾.

٨ـ ص ٤٦٢: [الآية ٤٥ من سورة سبأ (٣٤)].

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾، سقوط المفعول به: ﴿رُسُلِي﴾.

٩ـ ص ٥٠٦: [الآية ٢٨ من سورة غافر (٤٠)].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾، سقوط جملة الشرط والجواب: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾.

١٠- ص ٥٠٧: [الآية ٣٤ من سورة غافر (٤٠)].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.. إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، سقوط الجملة كاملة: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

١١- ص ٥٦٠: [الآية ٧ من سورة الحجرات (٤٩)].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ إلى ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، سقوط الجملة الاسمية فى نهاية الآية كاملة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

١٢- ص ٥٦٣: [الآية ١٤ من سورة ق (٥٠)].

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾، سقوط المفعول به: ﴿الرُّسُلَ﴾.

النوع الثاني: يتمثل فى أخطاء ترتبط بمفاهيم ومصطلحات لها تميز فى الإسلام، وفى القرآن، وقد ناقشت «جاك بيرك» فيها وشرح وجهات نظره التى لم أوافقه فيها ولم يصلح أكثرها إذن ولكننى أنص عليها هنا ولعل غيره يسترشد بها، ومنها:

- كلمة ﴿الأمى﴾ صفة للنبى محمد (ﷺ) وهى ترد مرتين فى القرآن، الأولى فى الآية رقم ١٥٧ من سورة الأعراف:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، وقد ترجمها بقوله le prophéte maternel وهى وردت فى «لسان العرب» فى حديث النجارى بمعنى: الذى لا يقرأ ولا يكتب. أمّا ريجيس بلاشير فقد ترجمها كما تترجم عادة بـ«le prophéte gentil» أى الذى ينتمى إلى الوثنيّين. والذى لم يتلق كتابًا من قبل.

ـ أمّا «الأمّيون» فقد وردت في القرآن أربع مرّات. والعجيب أن المترجم قد عاد فسمّاهم «les incultes» أي غير المتعلّمين.

ـ ثم كلمة «تجهلون»، «ويجهلون».

﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، ترجم ﴿قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ بقوله: un peuple ignorant والصحيح أن يقول un peuple paien، ويمكن أن تكون injuste.

ـ أما بعد ذلك في ترجمة:

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾، فقد ترجمها صحيحة celui qui ne sait rien.

ـ وأما كلمة «أعجمي» فتوجد أربع مرّات في القرآن:

مرة في الآية ١٠٣ في سورة النحل:

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾

وفي الآية ١٩٨ في سورة الشعراء

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾

ثم مرّتين في الآية ٤٤ في سورة فصلت:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾. وعلى حين تتفق كل المصادر العربيّة، والتفاسير على أن معنى «أعجمي» و«أعجمين» هو غير الناطقين بالعربيّة دون إضافة قيم أخلاقيّة أو حضاريّة أو دينيّة، فإن المترجم مثل غيره غالبًا فضّل كلمة barbares، وهو تأثير من الثقافات الغربيّة من ناحية حيث كان الإغريق يطلقون على غيرهم هذه الصفة التي تحمل

معنى التوحش، وربما الهمجيّة كذلك. كما أننا قد نشمّ وراء هذه الترجمة رائحة أثر من العهد القديم، حيث يطلق على غير العبريّين وغير اليهود صفة gouyim، التي تحمل مثل ما في barbares والتي تترجم في اللغات اللاتينيّة كذلك بنفس المصطلح. والخلاصة أننا نفضل بالطبع عبارة les non arabophones.

النوع الثالث: يتمثل في أخطاء ترجع إلى سوء فهم الكلمة أو السياق، وهي تفسد المعنى أو تنقصه، وقد تؤدي إلى نقيضه، وهي كثيرة عند بيرك وعند غيره، وسوف أحاول أن أعرض منها عددًا يوفي بالغرض، وقد أصلحها كلّها المترجم، ولكن مازلت أرى ترجمته وغيرها، وكل ما روجع وصحح من ترجمات مازالت بها أخطاء من هذا النوع وإن كانت تتفاوت في درجات خطورتها، ومنها:

ص ٥٥: [الآية ٢١٧ من سورة البقرة (٢)]

«الشهر الحرام».

ترجمها بـ le mois ou il est prohibé de combattire . مع أن الترجمة الصحيحة هي le mois sacré. صحيح أن الشهر الحرام يحرَم فيه القتال، ولكن المعنى أوسع من ذلك يشمله ويشمل غيره، أما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ إلى قوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [سورة التوبة ٩ الآية ٣٦] quatre sont sacrés بمعنى الأشهر الأربعة الحرم، ولكن ترجمة الشهر الحرام في سورة البقرة، ٢١٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ نظن أن المترجم

فيها تأثر بوجود عبارة ﴿ قِتَالٍ فِيهِ ﴾، والواقع أن اختياره معنى الشهر الذي لا قتال فيه، أو يحرم فيه القتال، اختيار لا يضر بالمعنى، بل قد يوضحه أكثر. (انظر تفسير الكشاف في هذا السياق!).

ص ٧٧: [الآية ٦٦ من سورة آل عمران (٣)].

﴿هَأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾، ترجم الجزءين بالنفي: ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾. وقد صححت في الطبعة الثانية.

vous quee voici, vous argumentez sur ce dont vous avez connaissance.

ص ٧٩: [الآية ٨١ من سورة آل عمران (٣)].

﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

ترجم بما يفيد «وأنا معكم أول الشاهدين» فأضاف كلمة «أول».

ص ٨١: [الآية ٩٦ من سورة آل عمران (٣)].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ تتضمن ترجمة هذه الآية ٩٦ من سورة آل عمران وما يليها من الآية ٩٧ مشكلة نحوية تؤثر تأثيرًا بالغًا على الترجمة وعلى المعنى.. فدور اللام المبر قبل اسم الموصول «الذي»، وهي ضرورية لجعل الموصول وما بعده خبرًا، وتتم الجملة عند «ببكة» والباقي بعدها مكملات. ولكن بإسقاط اللام أو جهلها أو تجاهلها تصير الجملة: (إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين فيه آيات). ويكون الجار والمجرور وما بعده ﴿فِيهِ آيَاتٌ﴾ هو أول خبر للجملة.. وهذا ليس صحيحًا، والصحيح كما قلنا

أن الخبر هو ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾.. يؤكده تفسير الزمخشري في «الكشاف»، إذ يقول: «فكأنه قال: «إن أوّل متعبَّد للناس الكعبةُ». قال المترجم:

96- La premiére maison instituée pour les habitantss de Bakka, en bénédction et guidance pour les univers, 97- renferme des signes d'évidence...

ولم يتنبه المترجم في الطبعة الثانية إلى التصحيح الذي اقترحته وهو:

...la premiére maison qui ait été édifiée pour les gens, c'est bien celle de Bakka (la Mosquée) bénie... etc.

وثمة ملاحظة أخرى وإن كانت أقل خطورة وهي ترجمة «للناس» بقوله **pour les habitants** للمقيمين، أو الساكنين، وهي ليست ضارة بالمعنى وإن كان الأصحّ **pour "les gens"**

ص ٨٢: [الآية ١٠٦ من سورة آل عمران (٣)].

﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ترجمت بما يعني «أكفرتم بي» وقد حصر الكفر في ضمير المتكلم «بي» وهو في الآية مطلق. وإذن فقد أضاف المترجم «بي» وليس لها ما يقابلها في النص. ولكنه ترجم المواضع الخمسة الأخرى المتشابهة ترجمة صحيحة، حيث ترك كفرتم على إطلاقه دون ذكر مفعول.

ص ٨٩: [الآية ١٦٦ من سورة آل عمران (٣)].

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ترجمت بـ **pour que le sachent les croyants**.

وكأن الجملة «وليعلم المؤمنون» وكأن «المؤمنون» فاعل.. والصحيح أن «المؤمنين» مفعول به منصوب بالياء، والفاعل مستتر، لفظ الجلال «الله» ومرجع الضمير المستتر في الآيات السابقة. وقد رجعت إلى ترجمتي «دونيس ماسون» و«حميد الله»، أمّا الأولى (بعد أن راجعها الشيخ صبحي الصالح

والمجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة في بيروت) فقد سقطت في خطأ أكثر تعقيدًا حيث جعلت «المؤمنين» مفعولاً به، ولكن جعلت الفاعل جمعًا؛ فقالت ...et afin qu'ils reconnaissent les croyants وكان لابد أن تسير ترجمة مطلع الآية التالية ١٦٧ «وليعلم الذين نافقوا..» على نفس النهج.. وكلاهما خطأ واضح عند بيرك وماسون. وأما «حميد الله» فقد ترجمها ترجمة صحيحة تمامًا إذ يقول .et qu'Il distingue les hypocrites ١٦٧ .et afin qu'Il distingue les croyants

ثم إن كتابة حرف I من الضمير It «هو» العائد إلى «الله» قد كتب بحرف كبير majuscule. وهذا يعني أنّ هذا الضمير للفاعل في الجملة الفرنسيّة، وهو ضمير ظاهر يقابل الضمير المستتر في الفعل المضارع العربي وليعلمَ أي «هو» أي «الله»!

ص ٩٢: [الآية ١٩٢ من سورة آل عمران (٣)].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾.

"Notre Seigneure, c'est Toi qui fais entrer (le coupable) dans le Feu: Tu l'avais déjà mis à mal

وهذا يجعل معنى الآية: «ربنا إنك أنت الذي تدخل من أخزيته النار» وعقدة المشكلة تكمن في اعتبار «مَن» موصولة، مع أنّها في الواقع شرطيّة والحقيقة أن ثمة علاقة وثيقة ودقيقة بين الموصول والشرطي.. ولذلك قلبت دونيس ماسون نظام تركيب الجملة فقالت:

Notre Seigneur! Tu couvres d'opprobes celui que Tu introduis dans le Feu بما معناه حرفيًا: «ربنا إنك تغطي بالخزي من تدخله النار» وهي لا تبعد عن معنى التركيب الشرطي «إنك من تدخل النار فقد أخزيته».

و«حميد الله» هو الذي يترجم بما يشبه الحرفيّة، أو قل إن ترجمته حرفيّة ورغم أن كثيرًا من الفرنسيين الذين لا يعرفون العربيّة يقولون إن لغته غير مفهومة تمامًا، ونلاحظ أن من يفهم العربيّة القرآنيّة هو الأقدر على فهم ترجمة حميد الله. ترجم هذه الآية هكذا:

Seigneur! Quiconque Tu fais entrer dans le Feu, Tu le couvres vraiment d'igno minie.

وأوّل ما يلاحظ على تلك الترجمة الحرفيّة، هو التمسّك بتركيب الجملة ونظامها ولذلك علاقة وثيقة بالمعنى.

ص ١٠٥ : [الآية ٧٢ من سورة النساء (٤)].

﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾. وكلمة «شهيد» ذات معان ثلاثة باللغة الفرنسيّة:

1- compagnon companie, 2- témoignage et témoin.
3- Martyre.

وكلمة شهيد العربية لها نفس التنوّع، وإذن يظل الفيصل في اختيار هذا المعنى أو ذاك هو السياق.

ونظرًا لأن السياق الذي تأتي فيه هذه الآية ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾. هو موضوع جهاد وقتال، والشهادة بمعنى artyre (الموت في سبيل عقيدة) قد ترد في مثل هذا السياق، فلهذا اختار بيرك هذا المعنى الثالث، وترجم بـ **martyre**. وهو غير مناسب هنا.. أمّا دونيس ماسون فقد اختارت المعنى الثاني **pour porter témoignage**. وهو ضعيف كذلك في هذا السياق. ولذا يبقى اختيار حميد الله للمعنى الأوّل: **en leur compagnie**... وهو كما أرى أنسب لهذا السياق.

ص ١٢٢: [الآية ١١٨ من سورة النساء (٤)]:

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.

ترجمت: Dieu l'a maudit, car il a dit... وهذا يعني: لعنه الله إذ قال لأتخذن.. وإقحام كلمة car = «إذْ» ـ «لأنَّ» يفسد المعنى، والواو هنا للعطف. إن دونيس ماسّون قد ترجمت بما لا يبعد عن ذلك كثيرًا: Que Dieu le maudisse - il a dit... ولكنّها دخلت في مشكلة أخرى إذ حصرت جملة «لعنه الله» بين خطّين لتكون جملة اعتراضيّة وكأنّها دعاء على إبليس بمعنى «الشيطان ـ ليَلْعَنْهُ الله ـ قال لأتخذن.. وفيه ـ كما هو واضح ـ درجة من الانحراف عن المعنى السياقي الذي يحكي بلغة الماضي.. لعنه الله.. وقال: ثمّ قال: وما تزال ترجمة حميد الله هي الأقرب في هذا إلى لغة السياق:

Allah l'a maudit, et celui - ci a dit.

ص ١٢٢: [الآية ١٢٣ من سورة النساء (٤)]:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ كما لو كان المعنى «ليس من يعمل سوءًا يجز به كما تتمنّون» ولكن الصحيح أن ثمة ابتداء جديدًا كأن ثمة إضرابًا... والمعنى الصحيح على هذا، أن «ليس الأمر كما تتمنّون، وإنّما من يعمل سوءًا يجز به».

والترجمة الصحيحة هي:

Clea ne dépend ni de vos souhaits, ni des souhaits des gens du Livre. Quiconque fait le mal sera rétribué en conséquence

ص ١٢٣: [الآية ١٢٧ من سورة النساء (٤)]:

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾.

بدءًا من: ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ...﴾.

ترجم: "...dans le passage du Livre qui vous est récité en matiére d'orphelins: les femmes que vous..." كأن ﴿النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ جملة ابتداء منقطعة عما قبلها. ولذا وضع نقطتين رأسيتين وابتدأ: النساء اللاتى مع أن الصحيح هو يتامى النساء اللاتى، أى اليتيمات من النساء. والترجمة الصحيحة إذن هى: en matiére des orphelines.. أو relative aux orphelines. ولكن هذا لا يعتبر خطأ فاحشًا، فهو لا يضر بالمعنى ضررًا بيّنًا، وإنّما قد يفهم أن ما يتلى فى الكتاب خاصّ باليتامى عمومًا. ثم يستأنف: النساء اللاتى. وإنّما المفهوم أن: ما يتلى فى الكتاب يخص يتامى النساء فثمة إضافة وليس بدلاً.

ص ١٢٣: [الآية ١٧٠ من سورة النساء (٤)].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾.

ترجمت كلمة «الرسول»، وهى مفردة بالجمع: les envoyés والصحيح l'envoyé فهى كذلك مفردة فى كلّ المصاحف، كما أنّ السياق يقتضي ذلك حيث نجد فى الآية ١٦٦ ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ والخطاب للنبى محمد (ﷺ).

ص ١٢٣: [الآية ١٠ من سورة المائدة (٥)]:

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ترجمت الجحيم بـ La Gehene أى جهنم والصحيح: La Fournaise.

ص ١٣١: [الآية ٦١ من سورة المائدة (٥)]:

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ يبدو أن ثمة مشكلة سوء فهم نحوي فقد ترجمت ...quand ils sont venus والواقع أن «إذا» تعتبر لدى النحويين ظرفًا لما يستقبل من الزمان، ولذا يترجم ما بعدها بالمضارع المستقبل وإن كان في صيغة الماضي، ولذا فالصحيح أن تكون الترجمة: ...lorsqu'ils viennent à vous, ils disent، وذلك لأن المضارع متكرر مع إذا، أمّا الماضي فوقع مرة واحدة، وهذا ليس مفهوم الآية.

ص ١٣٥: [الآية ٩٥ من سورة المائدة (٥)].

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

ترجمت ...au jugement des justes de parmi vous وهنا مشكلة نحويّة تمسّ المعنى كذلك، فقد ترجمت بالجمع العام ذوو عدل منكم، وهي في الجملة القرآنيّة مثنّى «ذوا عدل» وقد سبق أن وقفنا على هذه المشكلة في ترجمة «بلاشير» الذي كان لغويًا وكتب كتابًا ضخمًا في نحو اللغة العربيّة Grammaire de l'arabe classique حيث ترجم «إحدى ابنتي هاتين» بما يعني: «إحدى بناتي» ومع أن المثنّى لا يوجد في الفرنسيّة، فمن الممكن أن تترجم: l'une de mes deux filles. فشعيب حمو موسى كان له ابنتان لا غير، وفي هذه الآية من سورة المائدة الشاهدان رجلان اثنان، وليس المطلوب أكثر منهما وكان الصحيح أن تترجم: deux hommes intègres (ou justes) d'entre vous.

ص ١٤٣: [الآية ٢٦ من سورة الأنعام (٦)]:

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾.

ترجمت: ils jettent l'interdit sur le prophète: ولسنا هنا أمام

مشكلة سوء معنى وإنما هى مشكلة تخصيص لما فيه عموم، حيث إن الضمير في «عنه» قد ترجم بـ«النبي»، وهو في القرآن حسب ما يقول المفسرون، ومنهم الزمخشرى مثلاً: ينهون الناس عن القرآن أو من الرسول وأتباعه.. وإذن فالمفروض الحفاظ على هذا العموم والمفروض أن تترجم: ils en écartent les autres et, ils s'en éloignent.

ص ١٥٢: [الآية ٩٥ من سورة الأنعام (٦)].

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾.

عكست الترجمة ترتيب الجملتين، ويجب احترام ترتيب الجمل القرآنية مطلقًا.

ص ١٥٥: [الآيات ١١٨، ١١٩، ١٢١ من سورة الأنعام(٦)].

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

غالبًا ما يضيف المترجم عبارات تفسيرية، وهو ليس فريدًا في ذلك، مثل: dee viandes, sur lesquelles le nom de Dieu... وهي إضافات لا تؤدى إلى شيء، اللهم إلا أن تقيد المطلق، فما ذكر اسم الله عليه، أو لم يذكر اسم الله عليه يتسع ليشمل كلّ الأطعمة، وكان من الممكن والأفضل أن يظلّ على اتساعه وأن يترجم ce sur quoi lee nom de Dieu a été invoqué أو n'aura pas été invoqué.. والأفضل إذن عدم وضع كلمة «اللحم» viandes.

ص ١٦٢ «الأعراف» اسم السورة السابقة من القرآن الكريم:

وقد ترجمت Les Redans والحقيقة أنّ المترجمين يتراوحون بين ترجمة أسماء السور بين تركها بالعربية، أى كتابة الاسم العربيّ

بالأحرف اللاتينيّة كما هو. وكثيرًا ما تبدو الترجمات غير بديهيّة، وقد لا تحمل كل المعنى أو المعاني التي يقصد إليها القرآن أو التي ينصّ على بعضها المفسّرون. وكلمة Redans «بالجمع» تعني بروز في جدران حصن، أو عظمة، أو ارتفاع من الرمل، أو تلّ عليه خضرة، أو فاصل بين فضائين. ولكن المعنى العام أنّه جمع عُرْف، من الفواصل التي تُعرَف وتحدّد بين مكانين أو شيئين. وفي مثل هذه المفردات المتّخذة أسماء أعلام في القرآن نرى ضرورة وضع الاسم كما هو والإشارة في هوامش الترجمة إلى المعاني المحتملة حسبما يقول المفسّرون وحسبما تقضي معاجم العربيّة الصحيحة.

ص ١٦٢ أوّل الآية الثانية من سورة الأعراف:

﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ عادة ما تترجم بـ "un livre est descendu sur toi" ولكن المترجم اختار عبارة التعجّب quel écrit! أيُّ كتاب! وهو مع ذلك قد احتاط فوضع في الهامش المعاني الأخرى المحتملة.. وهو جيّد وهذا ما ندعو إليه في مثل هذه الأحوال.

ص ١٦٦: [الآية ٣٧ من سورة الأعراف (٧)]

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كلمة «أظلم» هنا أفعل التعجّب من الفعل ظَلَمَ être injuste, inéquitable وقد فهم المترجم ربط فكرة الظلام بالظلم وهذا صحيح فإن «الظلم ظلمات» فاشتق or quelle plus noire iniquité يعني ما أكثر سواد الظلم ولكن هذه القربى الاشتقاقيّة لا تستدعي ذلك، وكان الصحيح أن تترجم Quiconque est plus injuste خصوصًا وأن الضمير هنا مَن للعاقل وليس «ما».

ص ١٧٦: [الآية ١٢٣ من سورة الأعراف (٧)].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ترجمت "vous allez voir" بما يعني «فسوف ترون» وليس ثمة ما يدعو إلى ترك الفعل تعلمون Savoir. أمّا الفعل ترون ومشتقاته فيرد في القرآن في مواضعه، وليسا سواء.

ص ١٨٣: [الآية ١٦٨ من سورة الأعراف (٧)]

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ ترجمت "et d'autres qui étaient moins" بما يعني «ومنهم أقلّ من ذلك».. وكلمة دون بالطبع تحتمل معنى غير ومعنى أقلّ، ولكنّهما ليسا سواء في السياقات المختلفة وهذا السياق في تلك الآية يعني الاختلاف أي غير ذلك، أي منهم الصالحون ومنهم غير الصالحين. والترجمة إذن تكون: "et d'autres qui ne le sont pas".

ص ١٨٤: [الآية ١٧٣ من سورة الأعراف (٧)].

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ترجمت بـ "allons - nous être abolis?".. بالبناء للمجهول «أفنُهلك؟» أو أفنسكون من الهالكين.. وهذا يفقد الجملة القرآنية جانب الخطاب الموجّه إلى الله أفتهلكنا (أنت)؟ وفيه من الدلالة ما فيه مما لا يتأتى بغيره. والصحيح أن تترجم إذن بـ Nous feras - tu périr?...

ص ١٨٤: [الآية ١٨٥ من سورة الأعراف (٧)].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ترجمت كلمة حديث بـ langage والصحيح أن تترجم alors, à quel discours.

ص ١٨٦: [الآية ١٩٩ من سورة الأعراف (٧)]:

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وهذا المصطلح الجاهلون، وما شابهه

الجهل، الجاهلية إلخ.. كان من مواضع الخلاف بيننا وبين المترجم مثله مثل العجم والأعجمين.. إلخ.. ونحن نرى في هذا السياق: Ecartes-toi es ignorants، وليس des paiens، كما ترجمت.

ص ١٨٧: [الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف (٧)]:

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا...﴾ لا ندري لماذا اختار المترجم الإفراد لما هو جمع في ضمير الفاعل المتصل للمخاطبين «استمعوا وأنصتوا» فترجم "Ecoute le bien, entends le pour toi - méme..." على أن المفسرين ومنهم الزمخشري النحوي صاحب «المفصل» يقول: «وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت. ثمّ صار سنّة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن، وقيل معناه إذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له.. وقيل فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه..» ولكل هذا نرى الترجمة بالجمع لازمة: Ecoutez bien, entendez le

ص ١٨٨: [الآية الخامسة من سورة الأنفال (٨)]:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾ ترجمت "Ainsi Dieu te fit sortir"، وضع لفظة الجلالة «الله» مكان «ربك» الذي فيه من الدلالة ما فيه، كما أن فيه من التناغم اللفظي مع «من بيتك» ما فيه، والأفضل إذن الترجمة بـ "Que Ton Seigneurr t'a fait sortir de ta demeure".

ص ١٩٤: [الآية ٤٧ من سورة الأنفال (٨)]:

﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ترجمت بـ Dieu encorcle ce qu'ils font وهي ترجمة حرفيّة. وقد لا تضر المعنى، ولكن قد تقف عقبة أمام القارئ الفرنسي الذي لا يعرف العربيّة، ناهيك عن عربيّة القرآن،

وتتكرّر هذه العبارة خلال القرآن، مثل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلخ.. وفي حين تتعلق بالعلم والمعرفة والخَبر فالصحيح أن يوضع في العبارة واحدة من تلك الكلمات: Science, savoir وبالتالي تكون الترجمة: ils science de Dieu encercle ce qu'ils font. ويجب أن نذكر بأن الفعل الفرنسي cerner الذي يعني «الإحاطة» كذلك يعتبر أنسب من encerder لأنّه يتّسع للإحاطة الماديّة والمعنويّة كذلك، وهذا ما فعله «حميد الله» في هذه السياقات. أمّا دونيس ماسون فقد حاولت التمييز بين هذه السياقات فترجمت: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧] بـ "La Science de Dieu s'etend à tout ce qu'ils font" ولكنّها ترجمت: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]

"La Géhenne enveloppera sûrement les incrédules"

ص ٢٢٧: [الآية ٣٢]

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ...﴾ ترجمت بـ "même si beaucoup d'entre eux" بمعنى «كثيرًا منهم» وفهم المترجم وله كثير من الحق عود الضمير هم على مضمون ضمير الموصول «مَنْ» في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ "ceux qui viendront après toi"... ومشكلة ترجمة «كثيرًا من الناس» بما يفهم «كثيرًا منهم» أنها تحصر المعنى في المشار إليه في السياق هذا، وهو معنى عام.. لأن مثل هذه الجملة «كثيرًا من الناس» «أكثر الناس» إلخ.. ترد في نهايات الآيات لحكم

عام يشير إلى الواقع وإلى سنّة الله في الخلق. ولذا فالأصحّ أن تترجم بـ "beacoup d'entre les gens".

ص ٢٢٨ وص ٢٢٩: [الآيتان ١٠٥ و١٠٦ من سورة يونس]:

يجب حذف القوسين المعقوفين قبل ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ..﴾ وبعد ﴿وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ فإنّهما ليسا واقعين ضمن مقول القول كما فهم المترجم.

ص ٢٤٨: [الآية ٣٣ من سورة يوسف]:

﴿...وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ عودة إلى كلمة الجاهلين التي لا ترجو لها التعميم في الترجمة أينما وجدت بما يعني الوثنيين، وإنّما الأولى هنا أن تترجم بـ les ignorants أو les injustes.

ص ٢٥٣: [الآية ٧٤ من سورة يوسف]:

﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾؟ ترجمت بـ Quelle sera la punition?. وكأن المعنى: فما الجزاء؟ والمفروض أنّ كلمة جزاء مضافة إلى ضمير الغائب المفرد العائد للفلام المتهم بالسرقة والصحيح إذن أن يترجم Quelle sera sa punition?. فالجزاء في الآية ليس مطلقًا وإنّما هو مقيد ومخصّص بأنه جزاؤه.

ص ٢٧٩: [الآية ١٠ من سورة النحل]:

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترجمت بـ "ou on lâche" وكأنّ الفعل محايد أو مبني للمجهول أي كأنّه «يُسام» فعبّر المترجم بـ on والصحيح أن يترجم: où vous lâchez.

ص ٢٨٦: [الآية ٧٩ من سورة النحل]:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ ترجمت بـ en quoi réside un signe.. بالمفرد

كما لو كانت إن فى ذلك لآية، ولا يستوى المفرد والجمع وفى القرآن فى مواضع أخرى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ فالترجمة هناك بالمفرد وهنا بالجمع.

ص ٢٨٩: [الآية ١٠٣ من سورة النحل]:

﴿أَعْجَمِيٌّ...﴾ هذه إحدى الكلمات التي تشكّل موضع خلاف كبير بيننا وبين أكثر مترجمي معاني القرآن في الغرب فهم يترجمونها عادة بـ Barbare. وسبق أن تكلّمنا عن ذلك.

ويبدو أنّهم متأثرون بترجمة كلمة «جوييم» في العهد القديم وهي تعني غير اليهود أو غير العبريين وهم أقرب إلى «الأوباش»، ولعل ذلك يتفق مع مضمون كلمة barbares البرابرة المتوحشون أو الهمج.. أمّا كلمة «أعجمي» في العربيّة وفي القرآن الكريم فهي تعني غير الناطق بالعربيّة دون أي مدلول قيمي سلبي، ولذا كنا نفضل أن نترجم «لسان الذي يلحدون إليه أعجمي» بـ "Mais celui auqquel ils pensent parle une langue étrangère" ونزكي هذه الترجمة المقترحة ونصر عليها ويؤكد اختيارنا الجملة القرآنيّة العربيّة الموازية للسابقة وهي: «وهذا لسان عربي مبين» فالمقارنة لغوية بحتة.

ولذا ننبّه على ترجمة هذه الكلمة في كل ما ترد فيه من سياقات في القرآن الكريم.

ص ٢٩٦: [الآية ٢٢ من سورة الإسراء]:

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ ترجمت إلهًا آخر بـ d'autres dieux بالجمع ونرى ضرورة الحفاظ على المفرد un autre Dieu. لأن القرآن قد يذكر بالجمع فى سياقات أخرى لمعان أخرى أو لفروق دقيقة فى المعاني.

ص ٢٩٩: [الآية ٤٧ من سورة الإسراء]:

﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ ترجمت «إن تتبعون» بـ ...Autant pour nous suivre فحوّل ضمير المخاطبين في «تتبعون» إلى ضمير المتكلّمين وكأنّ الفعل «نتبع»، وهذه المشكلة تتكرّر كثيرًا كلما مرّ المترجم بحالة مشابهة. وتلك مسألة دقيقة حيث للضمائر الظاهرة والمستترة وتحوّلها في بلاغة القرآن من الغائب إلى المخاطب أو إلى المتكلّم محكومة بدرجات من الدقّة، وظلال المعاني وتأثيره في الخصوصية في كلّ سياق ترد فيه. وقد تكون هذه الدرجات مما قد يسمّى في البلاغة العربيّة «الالتفات» غير ممكنة الورود في بلاغة اللغة الفرنسيّة. وعلى كلّ حال كان يجب أن يترجم «إن تتبعون...» بـ Autant pour vous suivre.

ص ٣٠٨: [الآية ١٥ من سورة الكهف]:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ترجمت بـ Rien n'est plus inique que de fabuler بما يعني: «لا شيء أكثر ظلمًا» وفيه فقدان الاستفهام الإنكاري في «ومَن؟» وتحويلها إلى جملة خبريّة وهذا لا يقلب المعنى إلى نقيضه أو ضدّه، وإنما يضعف حيويّة المعنى القرآني وما فيه من قوّة بلاغة وما له من تأثير. ولا ندري لما لا تترجم بـ ?qui donc est plus injuste.

ص ٣٤٦: [الآية ٦٩ من سورة الأنبياء]:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ جعل المترجم مقول القول هو ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ فحسب وترجم سلامًا على إبراهيم خارج مقول القول.. وكأن ثمة وقفًا ضروريًا يا نار كوني بردًا! ثم

سلامًا على إبراهيم! كأنّها استئناف وهو خطأ معنوي ولغوي إذ لو كان مراد القرآن ذلك لقال: سلامٌ بالرفع وليس سلامًا. وسبب هذا الخطأ كلّه واضح في وضع الأقواس المعقوفة التي أغلقت بعد «يا نار كوني بردًا» والصحيح أن سلامًا معطوفة على بردًا فكان يجب أن توضع داخل الأقواس، وأن يكتب حرف العطف الفرنسي et بالحرف الصغير وليس Et (majuscule).

ص ٣٤٩: [الآية ٩٢ من سورة الأنبياء]:

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ترجمت ne suis - je pas votre Seigneur تحوّل المعنى إلى الاستفهام التقريري البلاغي «ألست ربكم؟» وهو معنى لا يصحّ هنا! إنّها جملة إثبات معطوفة على: «أن هذه أمّتكم أمّة واحدة» أما الاستفهام البلاغي التقريري فنجده في مواضع أخرى في القرآن مناسبًا لسياقه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف ١٧٢] وما يصحّ هناك لا يصحّ هنا بالضرورة.

ص ٣٨١: اسم السورة «الفرقان»، وحيثما ترد كلمة فرقان:

ترجمت هذه الكلمة هنا بـ "Le critère" التي تعني المعيار أو المقياس كما ترجمتها دونيس ماسون بـ "La loi" القانون أو القاعدة. ونرى الأصح أن تترجم بـ "La distinction"، فهي مشتقة من الجذر الثلاثي فرق وهو بكلّ معانيه واشتقاقاته يعني الفصل والفرق، والمصدر الذي سمّيت به السورة يعني ذلك أيضًا. والفرقان اسم من أسماء القرآن لأنّه يفرق بين الظلمات والنور، وبين الحق والباطل..

ص ٣٨٧: [الآية ١٢ من سورة الفرقان]:

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ...﴾ ترجمت بـ "qui, même quand ils le

"voient" وقد فهم المترجم أن الناس هم الذين يرون النار والعكس هو الصحيح حيث تقول الجملة إن النار هي التي ترى الناس، والترجمة الصحيحة إذن هي: "quand il les voit".

ص ٣٨٧: [الآية ٦١ من سورة الشعراء]:

﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ ترجمت كلمة بروجًا بـ châteaux التي تعني «قصورًا» بينما المعنى المراد بكلمة «بروج» هو: مسارات النجوم وأفلاكها وإذن الصحيح أن تترجم بـ "constellations".

ص ٤٠١: [الآية ٢٢١ من سورة الفرقان]:

كلمة «الشياطين» وهي جمع ترجمت بالمفرد الشيطان "du démon" بدلاً من "des démons" جمعًا كما وردت في الآية.

ص ٤١٢: [الآية ٨ من سورة القصص]:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ ترجمت بـ "il fut recueilli par la femme du pharaon"، وربّما كان هذا الخطأ تأثيرًا من العهد القديم الذي يقول إنّها ابنة فرعون، وربّما لأن القرآن يقول في سياق آخر: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ وعلى كلّ حال لابدّ أن تظل الترجمة محافظة في كلّ آية على ما ورد فيها وهنا آل فرعون وليس امرأة فرعون.

ص ٤٢٤: [الآية ١٢ من سورة العنكبوت]:

﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ ترجمت بـ "Suivez votre chemin et nous nous chargeons" حيث صارت وكأن معناها العربي «سبيلكم» وهذا يفسد المعنى والصحيح أن تترجم بـ Suivez notre chemin. وفي نفس الآية: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ترجمت بـ "Or ils ne se chargent en rien de leurs propres fautes"

إذ يتصوّر المترجم المعنى أنّهم لن يحملوا خطاياهم هم أنفسهم. والصحيح أنّهم لن يحملوا خطايا مخاطبيهم فالترجمة الصحيحة هي: Mais ils ne se chargent pas de leurs fautes والقرينة المعنويّة: «إنهم لكاذبون» التي تختم بها الآية..

ص ٤٣١: اسم سورة الروم:

ترجم بـ Rome وتعني «روما» المدينة ولكن القرآن يقصد بالروم الرومان، وإلا لما وضع أداة التعريف ولقال «روما».. وبدليل أنّه يقول ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ أي الروم البيزنطيّون. وقد وضع المترجم هامشًا يقول فيه إنّه اختار هذه الترجمة لسبب صوتي ونحن لا نوافقه على ذلك قط.

ص ٤٣٧: اسم سورة الروم:

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ ولكنكم كنتم لا تعلمون.. نرى جميلاً أن يضع المترجم الأقواس المعقوفة ليميّز بها مقول القول، ولكنّه أخطأ إذ أغلق القوسين بعد يوم البعث والصحيح أنّ مقول القول ينتهي في آخر الآية فكان الصحيح أن يغلق بعد.. كنتم لا تعلمون».

ص ٤٤١: [الآية ٢٩ من سورة لقمان]

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

عكس المترجم ترتيب الجملتين فبدأ بـ يولج النهار في الليل.. وهو قلب في الآية العربيّة، ولا ضرورة في اللغة الفرنسيّة المتلقّية تلجئ إليه، ولا ندري لم لا يحافظ عليه كما في الآية Ne vois - tu pas que

.Dieu Fait pénétrer la nuit dans le jour et le jour dans la nuit

ص ٤٤١: [الآية ٣٠ من سورة لقمان]:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ ترجمت بـ "Tout cela en ce qu'li est le vrai" والترجمة الصحيحة هي: "Li en est ainsi parce que Dieu est la vérité".

ص ٤٤٨: [الآية ٩ من سورة الأحزاب]:

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لم تترجم كلمة عليكم، مما يعوق المعنى الصحيح للآية وفهم القارئ الفرنسي لها. ويجب أن تترجم الجملة هكذا: "Rappelez - vous le bienfait de Dieu sur vous".

ص ٤٨٢: [الآية ١٠٩ من سورة الصافات]:

﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أضاف المترجم عبارة Au sein des univers التي معناها «في العالمين» وكأن الآية «سلام على إبراهيم في العالمين»، وهي ليست كذلك.

ص ٤٨٤: [الآية ١٤٧ من سورة الصافات]:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أضاف المترجم إلى ترجمة الآية عبارة: من الجاهلين des paiens، ونرى ضرورة حذفها.

ص ٤٩٢: [الآية ٧٨ من سورة ص]:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ ترجمت بـ malédiction لَعْنَةً أو اللعنة والصحيح Ma Malédiction، لعنتي، ولذا يجب الإبقاء على الإضافة إلى ضمير الملكيّة إذ له مغزى خاص هنا، وإن كنا نجد في بعض المواضع «وأن عليك اللعنة» لكن هنا «لَعْنَتِي».

ص ٥٠٣: اسم سورة «غافر» أو «المؤمن»:

ترجم كما في القرآن العربي المبين: "Le croyant ou L'indulgent"،

واقترحنا عليه ضرورة اتباع نفس الطريقة في كل المواضع المتشابهة، كما في سورة «الإسراء أو بني إسرائيل» حيث كان لابد أن يترجم Sourate: le voyage nocturne ou les fils d' Israël

ص ٥٠٦: [الآية ٢٨ من سورة غافر أو المؤمن]:

﴿... وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في مثل هذه السياقات اختار المترجم ضمير المتكلم عندما يكون المخاطب واحدًا من المتلقين أو عندما يخاطب شعبه: فبدلاً من:

Outre qu'il vous a apporté des preuves évidentes de la part de vtre Seigneur

وضع الترجمة:

Outre qu'il nous arrive muni de preuves de la part du Seigneur.

وليس ثمة ضرر فاحش وإن كان الحفاظ على الضمائر كما هي: جاءكم من ربكم qu'il vous arrive de la part de votre Seigneur له أثر كبير في المعنى لا يتأتى بقلبه إلى ضمير آخر ولا بحذفه ووضع أداة التعريف مكانه.

ص ٥٠٨: [الآية ٤٦ من سورة غافر أو المؤمن]:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ترجم غدوا وعشيا بـ du soir au matin وكأن الجملة تقصد من العشي إلى الغدو بينما الترجمة الصحيحة هي matin et soir.

ص ٥١٠: [الآية الثانية من سورة فصلت]:

﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ترجمت بـ Le Tout Puissant Le

Miséricordieux بما يعني العزيز بدلاً من الرحمن وإذًا لابد من تغييرها إلى Le tout Miséricorde الرحمن!

ص ٥١٢: [الآية ١٥ من سورة الشورى]:

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ ليست هذه هي المرّة الوحيدة كما رأينا فالمترجم كثيرًا ما يعكس ترتيب الجمل المتوازية كهذا فيترجم "à vous vos oeuvres, à nous les nôtres"، أي لكم أعمالكم ولنا أعمالنا والصحيح الحفاظ على ترتيب الجمل القرآنيّة وحيث لا ضرورة بلاغيّة في الفرنسيّة تستدعي هذا القلب.

ص ٥٢٢: [الآية ١٧ من سورة الشورى]:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ترجمت بـ Qu'est - ce qui peut te faire comprendre que l'heure est si près..? وقد فهم المترجم أو تصوّر أن المعنى وما يدريك كون الساعة قريبة؟ وكأن الاستفهام ما يدريك؟ ينساق إلى الآية حتى آخرها، مع أن ثمة وقفًا بعد ما يدريك؟ ولعل الساعة قريب استئناف فمعنى الآية: وما يدريك أنت؟ إنك لا تعلم الغيب. ولعل الساعة قريب، والترجمة الصحيحة المفروضة يجب لها أن «تحذف الأداة que وتوضع مكانها نقطة وتصير الترجمة كذلك: "Qu'est - ce qui peut te faire comprendre?! L'Heure est peut - être si près" بدون استفهام بعد كلمة قريب.

ص ٥٢٢: [الآية ٢٠ من سورة الشورى]:

﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ لا أجد ضرورة لإضافة المترجم كلمة miette مفعولاً به للفعل نؤتي، وكأن المعنى نؤته كِسْرة، أي كناية عن القليل، وهو توضيح لا بأس به في مقابل ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي

حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا.. ﴾ كل ما نرجوه أن توضع هذه الكلمة التوضيحيّة "miette" بين قوسين إشارة إلى عدم وجودها في النص.

ص ٥٢٦: [الآية ٥٢ من سورة الشورى]:

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ترجمت بـ **Même si c'est toi qui effectivement guide sur une voie de certitude** وهي ترجمة خاطئة تمامًا بسبب وجود الكلمتين **même si** «حتّى لو» وكذلك **c'est toi** «إنه أنت» إن الترجمة الصحيحة هي: **"Certes, tu diriges (les hommes) dans la voie droite"**.

ص ٥٢٩: [الآية ٢٤ من سورة الزخرف]:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ..﴾ ترجم الفعل قال: **Dis** في صيغة الأمر، وهو وارد بالماضي في حوار بين النذير وقومه قالوا.. قال.. إلخ. والصحيح إذن **Il dit**.

ص ٥٤٩: [الآية ٣٤ من سورة الأحقاف]:

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ ترجمت بـ **"Ils disent: Mais si notre Seigneur!"** بما يعني: بلى يا ربّنا. ولكن الواو في وربّنا واو القسم، والترجمة الصحيحة: **Mais si par notre Seigneur!**.

ص ٥٥٤: اسم سورة الفتح:

تبدو ترجمته بـ "Tout s'ouvre" غريبة إذ تعني.. كل شيء يفتح. و«الفتح» في العربيّة وفي القرآن مصدر فَتَحَ يَفْتَحُ وهو يَرِد في القرآن في ثمانية مواضع بأداة التعريف، وتَرِد «فَتْحًا» مصدر منصوب وهي

في قليل من هذه المواضع تترجم بـ "Décide clairement entre moi et eux" ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء: ١١٨]. وفي أكثر المواضع وكما يقتضي السياق والأصل تترجم بالنصر: "Qui nous t'avons accordé une éclatante victoire" إنّا فتحنا لك فتحًا مبينًا. كما في هذه السورة وقد اختار المترجم الترجمة الحرفيّة. ولكنّه أشار في الهامش إلى الفتح بمعنى النصر وكنا نودّ أن يفعل عكس ذلك أي أن يترجمها بالنصر ويشير إلى المعنى الحرفي أو المباشر في الهامش.

ص ٥٥٨: [الآية ٢٧ من سورة الفتح]:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ..﴾ ترجمت بـ:

Qui, Dieu s'est montré envers son envoyé en vision de sa vérité

وهي ترجمة تعني: لقد تراءى الله حقًا لرسوله في رؤياه الحقة. وهي ترجمة خاطئة لا يحتملها سياق الآية. والصحيح أن تترجم:

.Qui, Dieu confirme la vérité de la vision accordée à son envoyé

ص ٥٦٧: اسم سورة الذاريات:

يبدو أن أكثر التراجمة لم يصيبوا قربًا حقيقيًا من مفهوم هذا الاسم ولا مفهوم الآية الأولى من تلك السورة، فقد ترجمها جاك بيرك بـ vanne كلمة تعني التذرية مصدر. ونبّه على اختياره هذا في الهامش قائلاً إن اسم السورة هو اسم فاعل ولكنّه يراه بمعنى المصدر وأشار في هامش طويل إلى آراء المفسرين بأنّه يعني: الرياح والسحاب، والملائكة.. إلخ. أمّا دونيس ماسون فقد ترجمت بـ ceux qui se déplacent rapidement التي تنتقل بسرعة أي تذرو ووضعت هوامش تشرح فيها اختيارها الذي يحاول في رأينا المحافظة على الاقتراب من المعنى المباشر.

أمّا حميد الله فقد كتب الذاريات بالحرف اللاتيني ووضع بجانبها بين قوسين "qui éparpillent" التي تبعثر، أو تشتّت وتنشر في كلّ مكان وأشار إلى التفاسير القرآنيّة. وأخيرًا فإن مترجمًا آخر هو نور الدين ابن محمود قد ترجم بالاسم المباشر = le vent الرياح. وقد تكون هذه أضعف الترجمات لأنّها لا تحمل معاني الحركة والسرعة والقوّة التي في اسم الفاعل الذاريات، وهي لاشك مقصودة ومرادة في القرآن.

ص ٥٦٨: [الآية ٢٥ من سورة الذاريات].

﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ﴾ ترجمت بـ "Abraham dit: "Salut", bien qu'ils lui paraissent étranges". ومشكلة التداخل بين étranges غرباء - غريبون بمعنى الغرابة، وétrangers بمعنى غير معروفين ليست عميقة بدرجة تؤثّر في المعنى العام للآية، ولكن المشكلة في نظرنا تكمن في اعتبار المترجم قال «سلام» نهاية قول إبراهيم، ثم ترجمة قوم منكرون بـ bien qu'ils lui paraissent étranges بينما بدوا له قومًا منكرين. والصحيح في رأينا أن عبارة «قوم منكرون» داخلة ضمن قول إبراهيم أي أنّه قال: سلامًا أيّها القوم المنكرون. والصحيح إذن أن تترجم بـ "Salut, ô gens inconnus, ou étrangers". ويترجم آخرون مثل حميد الله «سلام» بمعناها الأصلي الاشتقاقي paix السلام، وليس التحيّة سلام عليكم.

ص ٥٦٩: [الآية ٣٠ من سورة الذاريات].

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ترجمت بـ:

Ils dirent: "C" est ainsi! Dieu a dit que ce garçon serait le sage, le connaissant

ومن المؤكد أن جاك بيرك لم يفهم الآية كما يجب، وهو غالبًا ما يختلط عليه الأمر في مواضع الحوار ذي الآيات القصيرة عندما يكثر استخدام الفعل قال، قالوا، قالت.. فهنا مثلاً: فهم أن الملائكة قالوا كذلك قال ربك إنّه سيكون غلامًا حكيمًا عليمًا.. فجعل إنّه هو الحكيم العليم صفة للغلام وهي في الحقيقة صفة أو صفتان لله. والترجمة إذن خاطئة تمامًا والصحيح **"Ainsi ton Seigneur a dit! Il est en vérité le sage, le connaissant"**. فالضمير في Il يعود على «الله» سبحانه.

ص ٥٧٨: [الآية ٢ من سورة القمر]:

﴿... سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ترجمت بـ **Magie passagère** «سحر عابر» والصحيح: **Magie continuelle** «سحر مستمر».

ص ٥٨٥: [الآية ٤١ من سورة الرحمن]

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ترجمت بـ **"Sont saisis par les pieds et la happe"** ولا ندري لماذا هذا الميل إلى قلب نظام التركيب والبدء بالأقدام قبل النواصي.. قد لا يضر ذلك القلب بالمعنى ضررًا كبيرًا.. ولكن ربّما كانت محاولة المترجم الإبقاء على شيء من النغم الموسيقي.

ص ٦٣٥: [الآية ١١ من سورة الملك]:

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ ترجم الفعل اعترفوا وهو ماض بالمصدر وما يعني ثمة اعتراف بذنوبهم وهو غير ضار بالمعنى ولكننا نذكّر أن

التعبير بالفعل في العربية، وفي عربية القرآن خصوصًا في سياق الحوار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ في صورة تلاحق الأحداث وتواترها بالحركة والسرعة مما يعطي ظلال المعنى ما يليق بالمقام. ولكل مقام مقال. فلو قال المترجم: ils reconnaissent بالمضارع القصصي لكان أجمل وأليق.

ص ٦٤١: [الآية ٢٠ من سورة الجن]:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ ترجمت بـ "J'invoque seulement Dieu.. dit - il" بما يعني «قال إنما أدعو ربي». وجاك بيرك هو الوحيد الذي ترجم قال بالماضي مع ضمير الغائب الذي يعود على: «عبد الله»، وإنه لما قام عبد الله يدعوه. في الآية السابقة رقم ١٩ وكل من سواه يلتزم بالترجمة بالأمر كما وردت في المصاحف، ولكن بيرك عاد إلى فعل الأمر: «قُلْ» على رأس الآيتين التاليتين. ومع أن الآية الأولى ٢٠ قد تحتمل ذلك الفعل الماضي وربما كانت ثمة قراءة وردت به.. فالأفضل أن يترجم بالأمر.

ص ٦٤٥: [الآية ١٦ من سورة المدثر]:

﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾؟ يضع المترجم علامة استفهام على آخر الآية.. وهو يحاول على كل حال أن يغوص وراء هذه الآيات القصيرة السريعة الإيقاع وتأثر بما تحمل من شحنات المعاني العميقة البلاغة: ومهدت له تمهيدًا.

«ثم يطمع أن أزيد»؟ فوضع الاستفهام: et il convoite que j'en rajoute? وهو استفهام بلاغي مشروع. أما في الآية ١٦ خصوصًا بعد «بلى» التي تعني الإضراب، لا نرى ضرورة لأداة الاستفهام.

ص ٦٥٣: اسم سورة المرسلات والآية الأولى منها:

المُرْسَلات بالعربيّة اسم مفعول من الفعل المزيد بالهمزة أرسل وهي جمع مؤنّث سالم لأنّها للرياح وهي مؤنّثة في العربيّة. والمفروض أن تترجم بالجمع المؤنّث Les Envoyées أو المذكّر L'Envoi، ولكن المترجم اختار الاسم المشتق من المصدر Envoyer ووضع هامشين في غاية الأهمية تعليقًا على ظروف نزول الآية واسمها معتمدًا على حديث لعبد الله بن مسعود. وعلى الآيات من ١ إلى ٤ مستقيًا من التفاسير القرآنيّة: أن المقصود: الملائكة؟ الرياح؟ حركة الوحي المنقول عن طريق الأنبياء؟ ويقول بيرك: إنّه يرى هذا التفسير الأخير هو الغالب. وإن اسم المفعول الجمع حسب رؤية ريجيس بلاشير ذو قيمة اسميّة وأنّ المصدر L'Envoi (اسم الحدث) يحمل قوّة وتشديدًا وتركيزًا على المعنى أكثر من اسم المفعول.. إن هذا التعليق مقبول. وترجمته للآيات الأولى من هذه السورة كترجمة آيات السور القصار تحاول تحميل اللغة الفرنسيّة أكبر قدر من الحيويّة والشاعريّة والإيقاع. وهذا من أهم ملامح ترجمة بيرك الأقرب إلى الأدبيّة والشاعريّة من غيرها.

ص ٦٥٥: [الآية ١٥ من سورة المرسلات]:

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ Malheur en ce jour à ceux qui démentent

لقد ترجم الآخرون à ceux qui crient au mensonge! باسم الفاعل الجمع ونحن نفضّله على المفرد: «الذي يكذب»!

ص ٦٧٦: الآيتان ٢ و٨ من سورة الغاشية:

كلمة «وجوه» تترجم مرّة بـ faces وأخرى بـ visages ونحن نفضّل

visages في كل المواضع المماثلة. ولكن اختيار بيرك هنا لا بأس به ولا ضرر منه.

ص ٦٨٠: [الآية ٢ من سورة البلد]

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ ترجم بيرك كلمة حل بـ couvert d'aucune sauvegarde وكنا في قراءتنا الأولى (التي قدمنا عنها تقريرًا للأزهر وأرسلنا صورة منه للمترجم) قد اعتبرناها خاطئة واقترحنا عليه تغييرها إلى habitant أو résident. ولكننا ونحن نعاود قراءة الترجمات بمزيد من الاستعداد والحذر وعدم التسرع في الحكم أو التقييم تبينا أن جاك بيرك كان على حق، بل كان أكثر عمقًا وحرصًا على المعاني ووجوه البلاغة القرآنية. فقد قرأ بدقة تفسير الزمخشري «الكشاف» الذي يقول في صدر تفسير هذه الآية: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم، عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك... أو وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر واجتهادنا أن المعنى الأول الذي أورده الزمخشري والذي فضله بيرك أفضل لهذا ولسبب آخر بلاغي يتضح من السياق وهو المقابلة الجميلة بين لا أقسم بهذا البلد (الحرام، الذي يحرم فيه الأذى وقتل الصيد) وبين «أنت حلٌ» مُباح معرض للأذى والقتل رغم عظمتك. وبذلك فإن اختيار بيرك أفضل وأصلح من اختيار سائر المترجمين ومنهم دونيس ماسون التي اختارت habitant = ساكن، وحميد الله الذي اختار résident = مقيم، وهو أحد معاني حلٌّ وحالٌّ.

ص ٦٨٦: [الآية ٨ الأخيرة من سورة التين]:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ ترجمت بـ **Dieu est le plus juste des justiciers** وهي جملة إثباتيّة تقريريّة، لا تناقض المعنى ولكن فقد الاستفهام البلاغي «أليس»؟ **n'est - ce pas?** الذي يستدعي رد السامع: بلى! يضيع هذا المعنى البلاغي المقصود. والأصح إذن أن تترجم بـ **Dieu n'est - il pas le plus juste des justiciers?** للحفاظ على هذه الخصوصيّة البلاغيّة ذات التأثير في المعنى. ثم إن لنا ملاحظة أخرى حيث اختار بيرك لأحكم الحاكمين معنى الأكثر عدلاً من كل عادل. بينما اختارت دونيس ماسون الاختيار ذاته، وهي وبيرك على حق أكثر من حميد الله في اختياره **"Allah n'est-il pas le plus sage des juges"** الذي فضل **plus sage** لأفعل التفضيل «أحكم» والتي لا تعتبر خطأ ولكن العبارة هي أحكم الحاكمين وليس الحكماء!

ص ٦٩١: [الآية ٦ من سورة الزلزلة]

﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ترجمت بـ **"pour contempler leurs actions"** كأن الفعل مبني للمعلوم «ليَروا» والمصاحف على البناء للمجهول «ليُروا» ولكن اختيار بيرك البناء للمعلوم ليس خطأ كما قد يتوهم قارئ لأول وهلة. إن القراءة بالفتح للبناء للمعلوم هي قراءة النبي (ﷺ) كما أورد الزمخشري. فلا جدال في صحتها وبالتالي في صحة ترجمة بيرك.

وإذا كان مترجمون آخرون قد اختاروا الترجمة بالبناء للمجهول مثل حميد الله **"pour que leur soient montrées leurs oeuvres"** ودونيس ماسون **"pour que leurs actions soient connues"** فلا شك أنها اختيارات صحيحة وإن كان اختيار حميد الله أصلح وأليق.

ص ٦٩٤: [الآية ٤ من سورة القارعة]:

﴿. . . كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ترجمت بـ comme les seudnapér sell حيث الكلمة الفراش تعني في الفرنسيّة GCh apillons ereteus فتعني الجراد.. ولا معنى للهامش الذي وضعه المترجم sauterelles يحيلنا به إلى الآية.. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ الواردة في سورة القمر وهو قد ترجم هناك صحيحًا.

ص ٧٠١: [الآية ٢ من سورة الكوثر]:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ ترجمت: «Ne prie que ton Seigneur, ne sac rifie qu'à lui.» ونلاحظ هنا ملاحظتين:

الأولى: أن المترجم اختار القصر أي لا تصل إلا لربك! والأمر في الآية مطلق وليس مقصورًا!

الأخرى: أنه أسقط الفاء من الفعل فصلّ ولم يترجمها، على أنّ له تأثير قوي في المعنى إذ هذه الآية نتيجة ولذا يجب أن تضاف كلمة donc، كما أسقطها حميد الله في ترجمته كذلك. أمّا دونيس ماسون فقد حافظت عليها كما حافظت على إطلاق الفعل وانحر فلم تقل وانحر له وإنّما: "prie donc ton Seigneur et sacrifie". وهي في رأينا أحسن الترجمات لهذه الآية!

ملاحظة عامة:

- نقترح على جاك بيرك وعلى كل من يترجم معاني القرآن أن يبقى على نطق فواتح السور ألم، ألر، ألمر... إلخ أن يكتب بالحروف اللاتينيّة تلك الفواتح بنطقها كاملاً أي لا يكتب ALM ولا ALR وإنّما:

alif-lām-mīm, alif-lām-rā, alif-lām-mīm-rā, kāf-ha-ya-ya-'aiyn-sād etc...

- بل إن ذلك في رأينا مطلوب في أسماء السور كذلك أي أن يكتب المترجم مثلاً: Sourate La Vache (al-baqara) يعني سورة البقرة بالأحرف اللاتينيّة وأمامها ترجمتها باللغة الأجنبيّة. ونرى أن وضع الهوامش باحتمالات الترجمة الأخرى في أسماء مثل «الأعراف» فهي كلمة لها أكثر من معنى محتمل.

النوع الرابع: يتمثّل في الضمائر المتّصلة بالفعل بارزة ومستترة على وجه الخصوص، وهي تستتبع مشاكل نحويّة وتركيبيّة وبلاغيّة، تؤثّر في المعنى تأثيرًا بالغًا. وقد يعتبر الخلط فيها بين ضميرين مختلفين ما بين الخطاب والغيبة مثلاً خلطًا مفسدًا للمعنى. ولكن يجب على قارئ الترجمة أن يكون على درجة من الحيطة والحذر؛ لأن المترجم قد لا يخلط جزافًا ولا جهلاً وإنما متبعًا قراءة أخرى قد ترد على غير المشهور في المصحف العثماني وقد يشير إليها المفسرون في أكناف تفسيرهم.

ونحن نذكّر المترجم هنا بضرورة وضع القراءة الأخرى، وتبعًا لذلك الترجمة الأخرى في هامش لمساعدة القارئ على مزيد من الفهم؛ لأن القراءة الأخرى قد تعني تفسيرًا آخر، وفهمًا آخر. وهو أمر لا محيد عنه حتّى لا يغلق مفهوم الجملة أو الآية القرآنية ويضيق في معنى واحد.

أما إذا خلط بين ضمير وضمير في آية أو جملة لا تحمل إلا قراءة واحدة ومعنى ظاهرًا متّفقًا عليه فإن الخلط سيفسد المعنى وهنا يجب التنبه والحيطة.

وأكثر مشكلات جاك بيرك فى هذا النوع الرابع يتمثّل فى الطائفة الأولى مما أشرنا إليه أى فى جمل يحتمل تفسيرها احتمالين، ولكن بعضًا من الأخطاء حاسم قد يضر الخلط فيه.

وسوف نمر سريعًا بهذه الملاحظات:

ص ٧٨: [الآية ٦٩ من سورة آل عمران]:

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ ترجمت: voudrait bien t'égarer بما يعني لو يضلونك بضمير المفرد المخاطب بدلاً من جمعه. والصحيح أن يترجم بضمير جمع المخاطب: vous égarer.

ص ٨٠: [الآية ٨٣ من سورة آل عمران]:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ ترجمت بضمير المخاطب: aspirez - vous une religion... ولكن المترجم لم يخطئ فى ترجمة هذه الجملة لأن ثمة قراءة بضمير المخاطب (على غير المشهور فى المصحف العثمانى) أشار إليها الزمخشرى فى «الكشاف» «تبغون». ويستتبع ذلك الفعل «يرجعون» فى آخر الآية نفسها الذى ترجمه بيرك بـ Et qu'il sera fait d'eux à leur retour ترجم ضمير الغائبين بضمير المخاطبين. وربّما لا يكون ذلك خطأ إذا وضعنا فى الاعتبار قراءة أشار إليها القرطبي فى تفسيره (وقد غيّر بيرك فى الطبعة الثانية).

ص ٨٨: [الآية ١٥٧ من سورة آل عمران]:

﴿... خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ترجمت بـ "valent mieux que ce que vous accumulez".. بضمير المخاطبين بدل الغائبين (وقد غير فى الطبعة الثانية). ولابد من الإشارة إلى القراءة فى الهامش.

ص ٩١: [الآية ١٨٢ من سورة آل عمران]

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ترجمت بـ vous et cela pour ce que leurs propres mains.. بضمير الغائبين بدلاً من المخاطبين. وفيه قراءة مثل سابقه. وكان لابد من الإشارة لذلك فى الهامش.

ص ١١٣: [الآية ١٣١ من سورة النساء]

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ترجمت بـ "A ceux qui avant toi ont reçu l'écrit" بضمير المفرد المخاطب بدلاً من ضمير الجمع المخاطب وهو مخالف للصحيح وللسياق الذى يحتم الجمع.

ص ١١٦: [الآية ١٥٢ من سورة النساء]

﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ترجمت بـ nous leur donnerons.. بضمير الجمع المتكلم بدلاً من جمع الغائب وكان لابد من الإشارة لقراءة (يؤتيهم) فى الهامش.

ص ١٢٤: [الآية ١٣ من سورة المائدة]

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ترجمت بـ "J'efface (la faute) à qui je pardonne" وهى ترجمة خاطئة تصورت أن الفعل (اعْفُ) فعل مضارع مسند للمتكلم المفرد (الله) وكذلك الفعل (اصْفَحْ) مع أنهما فعلان للمفرد المخاطب ويجب ترجمتهما بالأمر oublie leurs fautes et pardonne! وقد صحّح المترجم ذلك فى الطبعة الثانية.

ص ١٤٨: [الآية ٦٣ من سورة الأنعام]

﴿. . . لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ ترجمت بـ Il nous sauva وهذه العبارة تتكرّر لدى القرطبى فى تفسيره بـ لئن أنجيتنا بضمير الخطاب

tu nous sauvas وهذا هو الذي اختاره جاك بيرك وما زلنا نؤكد على ضرورة الإشارة للقراءة الأخرى والترجمة الأخرى.

ص ١٧٥: [الآية ١٠٥ من سورة الأعراف]:

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ترجمت بـ de la part de mon Seigneur «من ربّي» الصحيح de votre Seigneur بالجمع كما وردت في الآية وكما هو متّفق عليه.

ص ١٧٨: [الآية ١٤٢ من سورة الأعراف]:

﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ترجمت بـ de ton Seigneur أي «ميقات ربك».. بضمير الغائب والصحيح de son Seigneur.

ص ١٨٠: [الآية ١٥١ من سورة الأعراف]:

﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ ترجمت بـ Prends moi (أدخلني) بضمير المتكلم المتصل المفعول به المفرد بينما هو في الآية جمع.

ص ٢٣٠: [الآية ٣ من سورة هود]:

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ترجمت بـ et s'ils se dérobent وقد فهم المترجم (خطأ) أن الفعل «تولوا» فعل ماض مصرف مع ضمير الغائبين. والحقيقة أن الفعل مضارع مصرف مع المخاطبين: «فإن تتولوا» (أي أنتم) وقد حذفت إحدى التائين تخفيفاً. والترجمة الصحيحة إذن هي: et si vous vous dérobez.. وما زال الخطأ موجوداً في الطبعة الثانية. وكان المفروض أن يساعد الضمير في «عليكم» وهو للخطاب كذلك في توجيه المترجم إلى التوازي بين (تولوا) و(عليكم).

ص ٣٠٦: [الآية ١١١ من سورة الإسراء (بنو إسرائيل)]

﴿... وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ ترجمت بـ "Exaltez-le, Exaltez-le." بما يعني: وكبروه، وكأن الأمر موجه لجمع المذكر، مع أنه شأنه شأن كل أفعال الأمر الواردة في هذه الآية وفي سابقتها مصرف مع المخاطب المفرد: قل، ولا تجهر، ولا تخافت، وابتغ، وقل الحمد لله، وكبره تكبيرًا. وإذن فالصحيح أن تترجم بـ Exalte-le

ص ٣١٨: [الآية ١٠٥ من سورة الكهف]

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ...﴾ ترجمت بـ Je ne leur rendrai والجملة القرآنيّة العربيّة وردت بصيغة جمع المتكلم المعظم نفسه، وهي صيغة موجودة في الفرنسيّة وإذن لابد من الترجمة بـ Nous leur attribuerons بالجمع كذلك.

ص ٣٣٢: [الآية ٥٨ من سورة طه]

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ...﴾.

ترجمت بـ "Je te rendrai" بضمير المفرد المتكلم وحقها أن تترجم بالجمع كما في الملاحظة السابقة تمامًا. وحيث الأفعال كلها وردت بالجمع في هذه الآية وفي سابقاتها.

ص ٣٨٣: [الآية ١٩ من سورة الفرقان]

﴿... نُذِقْهُ...﴾ ترجمت كذلك بـ Je lui fais goûter بضمير المفرد المتكلم (أذقه) ولابد أن تترجم: Nous lui faisons goûter. كما في الملاحظات السابقة تمامًا إذ كلها بضمير الجمع المعظم نفسه.

ص ٤٣٧: [الآية ٥٨ من سورة الروم]

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ ترجمت بـ "Si vous venez aux..." بتصريف

الفعل مع ضمير جمع المخاطب vous والصحيح أن تترجم si tu viens بالمفرد كما وردت في الآية:

ص ٤٦٢: [الآية ٤٠ من سورة سبأ]:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ ترجمت بـ "...le jour où nous rassemblerons" بالفعل مصرفًا مع ضمير جمع المتكلم المعظم نفسه. وهي في الجملة القرآنيّة في المصاحف بضمير الغائب فالأصح أن تترجم où il les rassemblera. وإن وجدت قراءة بضمير المتكلم فكان يجب - كما نفضل دائمًا - الإشارة إلى هذه وتلك.

ص ٥٥٨: [الآية ٢٧ من سورة الفتح]:

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾. ترجمت Puisses-tu entrer بتصريف الفعل مع المخاطب المفرد (العائد على النبي) وهو في الجملة القرآنيّة بضمير الجمع للمخاطبين vous pénétrez (entrez)... وكان تصريف الصفات التالية آمنين، محلقين، مقصرين، لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا... كافيًا بالتنبيه على ذلك. ويبدو أن المترجم تأثر بالجملة الأولى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾.. ونسي أن ثمة نوعًا من الالتفات إلى ضمير الجمع الموجه للنبي وكل المسلمين معه.

النوع الخامس: ويتمثل في إشكاليّات الترجمة المتعلّقة باختلاف التفاسير القرآنيّة العربيّة وتنوّعها، وباختيار المترجم واحدًا منها:

إن المسلمين اليوم في أمسّ الحاجة إلى فهم عبارة: «القرآن حمّال أوجه»، التي تنسب إلى الإمام علي رضي الله عنه. وكذلك عبارة «القرآن سُطِر بين دفتين يقرؤه رجال...» فلدينا نحن المسلمين قرآن واحد، أما معانيه وطرق فهمه وتفاسيره فهي لا تتناهى. وقد أدرك

الأوائل من علماء النحو واللغة والبيان والتفسير والنقد الأدبي هذه الخصوصيات في النص القرآني، وكان أكثرهم على درجة من الحس العلمي والذوقي مما مكنهم من الغوص إلى بعض أعماقه.

إن طبيعة المفردات السامية، والعربية منها على وجه الخصوص، وتعدّد استخدامها ما بين الحقيقة والمجاز بأوجههما المختلفة، وما تحمل فيه من آفاق أوسع وأشمل أو أدق وأرق عندما تتركّب في صور أو مشاهد قرآنية تجعل المفسّر ثمّ المترجم يفكّر ألف مرّة ويراجع نفسه ولغته وقدراته قبل أن يقرّر اختيار لفظة وتفضيلها على أخرى.

كثيرًا ما تحمل التراكيب والجمل أكثر من معنى، وقد يكون ذلك راجعًا إلى المفردات كما قلنا أو إلى التراكيب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: آية ٧].

فالوقف على لفظ الجلالة يعني أن المتشابه في القرآن لا يعلم تأويله إلا الله وحده. وإذن تكون قراءته: والراسخون في العلم يقولون: آمنا به. ولا يحق لهم ولا يستطيعون تأويله. أما عدم الوقف، واعتبار جملة «والراسخون في العلم» فاعلا معطوفًا على لفظ الجلالة - أي أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله - فقد اختاره بعض المفسرين وعلى رأسهم المفسّر الأوّل عبد الله بن عباس.

وكذلك الجملة القرآنية: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ [البقرة: آية ١٠٢] حيث يعتبر بعض النحاة والمفسرين ما موصولة، وإذن تعتبر جملة «ما أنزل على الملكين» مفعولاً به ثانيًا للفعل «يعلمون» بينما يعتبر آخرون «ما» نافية وإذن تعتبر جملة «ما

أنزل على الملكين» منفية. أي لم ينزل شيء على الملكين وهو ثابت في تفسير الزمخشري. وهو ما اختار جاك بيرك في ترجمته مثلاً.

إننا ما زلنا في انتظار دراسات وبحوث لغويّة وبلاغيّة وتفسيريّة عربيّة تتناول موضوع اختلافات المفسرين الآتية من اختلافات وجوه نحويّة وتركيبيّة متعددّة، وهي اختلافات حميدة ترشد إلى فهم أحد أهم جوانب النص القرآني الذي لا يتوقف عن التفجّر بالاحتمالات وإخراج وجوه التراكيب ثم وجوه المعاني.

إن هذه الدراسات ستساعد المترجمين وتلقي لهم مزيدًا من الأضواء الكاشفة على جوانب دقيقة من وجوه المعاني.

نقول هذا لنتذكر أن الترجمة تفسير وأن التفسير ترجمة.

أليس ابن عباس كان يُسَمّى ترجمان القرآن؟ وهل كان ابن عباس يترجم القرآن إلى لغة غير العربيّة؟

إن كلمة ترجمان وترجمان (ذات الأصل السرياني) تعني في المعاجم العربيّة، مثل لسان العرب والقاموس المحيط «الذي ينقل النص من لغة إلى لغة أخرى والترجمان المفسر، وقد ترجمه وترجم عنه»، وفي معجم «متن اللغة»: «ترجم كلامه» أي بيّنه ووضّحه. أما في الحديث النبوي فكلمة ترجمان تعني التفسير. ومن هنا يعتبر المفسر مترجمًا والمترجم مفسرًا بلغة غير لغة النص الأصلي.

ولذا كان الشيخ المراغي، شيخ الأزهر الأسبق (١٨٨١ ـ ١٩٤٥) حريصًا على النصح باستخدام عبارة: «ترجمة معاني القرآن» وليس: «ترجمة القرآن» مع أن الأوائل كانوا أكثر جرأة وفهمًا فأطلقوا على ابن عباس ترجمان القرآن وليس ترجمان معاني القرآن. إلا أن

المراغي كان يتكلم خلال الإشكاليّة التي ظهرت في الربع الأوّل من القرن العشرين عندما كانت مسألة ترجمة القرآن إلى لغات غير العربيّة موضوع معارك علميّة ودينيّة بين علماء الإسلام ومفكّريه.

ولابد لنا من أن ندرك مدى معاناة المترجم إلى غير العربيّة، وهو مقيّد أكثر من المفسّر بالعربيّة، إنّه رهين حدود لغته المترجم إليها وسجين قدراتها على نقل التعبير الذي يحاول أن يحمل ما يحمله تركيب العبارة القرآنيّة أو المشهد القرآني.

وإذا كان المفسر المسلم الذي يفسر بلغته العربيّة له الحق في الاجتهاد في حدود النص مع التمكّن من العربيّة وعلومها والقرآن وعلومه، ثم هو بعد ذلك يصيب ويخطئ وينال أجرين أو أجرًا واحدًا. ويحق لنا أن ننقده في اختياره بعض وجوه النص وإغفال بعضها. فإن المترجم كذلك له الحق في الاجتهاد اللغوي والبياني وهو يحاول تحميل لغته الأم غير العربيّة أكثر مما يمكنها حمله من بعض أعماق النص القرآني اللامتناهي المعاني، يحق له أن يجتهد وأن يصيب وأن يخطئ، ويحق لنا كذلك نحن قارئي الترجمة أن ننقده في اختياره بعض وجوه الترجمة وإغفال بعضها.. بل يجب علينا أن نعينه إذا قبِلَ المعونة وإن كنا أعلم منه بوجه من هذه الوجوه.

وهو إذا اختار تفسيرًا من تفاسير القرآن المعترف بها والمجمع على قبولها ولو نسبيًا عند علماء المسلمين، فله الحق وعليه أن يثبت في هوامش ترجمته إشارات إلى التفاسير الأخرى أي إلى الترجمات الأخرى الممكنة لهذا التركيب أو لتلك العبارة موضع الترجمة.

ولقد تنبهنا إلى ذلك ونحن نقرأ ترجمات عديدة مثل ترجمة

دونيس ماسّون التي أجازها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بعد قراءة مصحَّحة للشيخ صبحي الصالح، وترجمة الشيخ حميد الله التي أجازها علماء المملكة العربية السعودية. ولكنّنا كنا في مواضع كثيرة نحاول الرجوع إلى التفسير الذي اختاره هذا أو ذاك من المترجمين المجتهدين. وبعد هذا كله مازالت كل الترجمات أقرب إلى القصور والنقصان منها إلى التمام والكمال الذي يختص به عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وفي السطور التالية نحاول إبراز بعض نماذج الأخطاء أو المشاكل في ترجمة جاك بيرك، التي جاءت من اتباعه تفسيرًا دون آخر:

ص ٣٩: [الآية ١٠٢ من سورة البقرة]:

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ..﴾ جملة «ما أنزل على الملكين» ترجمت بـ et rien n'est descendu sur les deux anges بينما ترجمتها دونيس ماسون بـ et ce qui à Babel avait été révélé aux deux anges وكذلك ترجمها حميد الله. أي أنّهما اعتبرا «ما أنزل» موصول وصلته - كما أشرنا من قبل - بينما اعتبرها بيرك نافية. وعندما أشرنا بعد طبعته الأولى بضرورة إصلاحها إلى الترجمة بالموصول، أصلحها في الطبعة الثانية. ولكن تفسير الزمخشري يشير إلى هذه القراءة التي بنى عليها بيرك ترجمته. وكنا نرجو من ثلاثتهم الإشارة إلى التفسير الآخر والترجمة الأخرى في الهامش.

وثمّة ملاحظة أخرى في غاية الأهميّة وهي أن جاك بيرك أشار في

هوامشه إلى أن اليهود ـ حسب قول التفسير ـ هم الذين كانوا يتعلّمون السحر من هذين الملكين، بينما وقعت دونيس ماسّون في خطأ فادح في جملة أخرى من هذه الآية ذاتها: «ويتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم..» حيث ترجمت بـ les démons enseignent ce qui ne peut nuire aux hommes, ni leur être d'aucune utilité، بما يعني بالعربية: يعلم الشياطين الناس والناس يتعلّمون «ما لا يضرّهم ولا ينفعهم». والواقع النفي الأوّل «لا يضرّهم»، لا مكان له هنا قط بل عكسه وهو الإثبات؛ هو الصحيح، فالتعليم يضرّ الناس ولا ينفعهم، وهذا خطأ لا يأتي من أي تفسير ولكننا كان لابد أن نشير إليه.

ص ٧٣: [الآية ٣٠ من سورة آل عمران]

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾. لقد اتبعت دونيس ماسون تفسير القرطبي الذي جعلها تترجم: le jour où chaque homme trouvera présent devant lui ce qu'il fait de bien et ce qu'il aura fait de mal, il souhaitera qu'un long intervalle le sépare de ce jour. يجعل القرطبي الوقف بعد: «وما عملت من سوء..» وبذا يكون معنى: «تودّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا» راجع إلى رؤية النفس لكل ما عملت من خير ومن سوء ومجموعة في ضمير الغائب المتصل بالظرف «بينه». أما الزمخشري فهو يقول بعدم الوقف هنا في المعنى ولكن بعد كلمة «محضرا»، ولكن «ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا» أي أن الضمير في «بينه» عائد على ما عملت من سوء. وهو التفسير الأقرب إلى التركيب اللغوي المباشر للجملة، وهو ما اختاره بيرك حيث ترجم: au jour où chaque âme

trouvera étalé ce qu'elle aura fait de bien comme de mal. صحيح أنّه وقف بعد «ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء»، ثم أعاد وله الحق avec ce qu'elle aura fait de mal, elle voudrait prendre de loin ses distances. فبدأ مرة أخرى: «وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا» فحافظ بدقة على ما اختاره الزمخشري من تفسير. كما أنه ترجم النفس l'âme بدقة بينما ترجمتها ماسّون بـ homme: إنسان.

ومرّة أخرى لابد من إشارة المترجم في الهامش إلى اختياره وإلى الاختيار الآخر وسبب تفضيله هذا على ذاك.

ص ١٧٧: [الآية ١٥٧ من سورة النساء]:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

ثمة تفسيران لهذه الجملة: الأول يعتبر عبارة «رسول الله» صفة للمسيح يطلقها عليه اليهود تهكمًا منه وممن يؤمنون به. والآخر يعتبر نهاية قول اليهود «إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم» وإن عبارة «رسول الله» ليست داخلة في قولهم. وهذا ما اختاره جاك بيرك إذ وضع ما قبله بين معقوفين وعبارة «رسول الله» منفصلة بادئة بالحرف الكبير (majuscule).

أما حميد الله ودونيس ماسّون فقد اختارا التفسير الأوّل إذ جعلا عبارة «رسول الله» داخلة في مقول القول. وكل مترجم رجع إلى تفسير صحيح ولكن لم يشر إلى التفسير الآخر والترجمة الأخرى التي تتبعه.

ص ١٤٣: [الآية ٢٠ من سورة الأنعام]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

وثمة تفسيران كذلك لهذه الجملة يستدعيهما عود الضمائر فيها وخصوصًا ضمير الغائب المفرد المذكر المتّصل بالفعل «يعرفونه» ضميرًا متّصلاً به، فى التفسير الأوّل يعود هذا الضمير على لفظ «الكتاب» وهذا ما اختاره بيرك فترجم Ceux que nous avons dotés de l'Ecriture la connaissent... والضمير الفرنسى la الواقع مفعولاً به قبل الفعل هو الذى يحمل هذا المعنى. أما دونيس ماسون فقد اختارت التفسير الآخر الوارد لدى الزمخشرى وهو الذى يرجع الضمير فيه إلى النبى محمّد (ﷺ). فترجمت connaissent le prophète... أى «يعرفون النبى». وهنا نذكر بأن اللغة الفرنسيّة لا يمكنها استخدام ضمير يعادل تمامًا ضمير الغائب المفرد المذكر المتّصل الذى قد يحتمل أكثر من معنى أو أكثر من تفسير. ولكن لم يشر أى من المترجمين إلى التفسير الآخر. وأما حميد الله فقد اختار هو الآخر هذا التفسير الثانى وكتب بين قوسين (le messager Mohammad) وهو التفسير الذى نص عليه الزمخشرى فى «الكشاف».

ص ٤٣٩: [الآية ١٠ من سورة لقمان]

﴿خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

يرى بعض المفسرين الجملة الفعليّة نعتًا للاسم «عمد». ويرى البعض أن هذه الجملة تصف السماء وليس العمد. وقد ترجمها بيرك على التفسير الأوّل Il a cré les cieux sans support que vous puissiez voir وكذلك دونيس ماسون Il a créé les cieux sans colonne visibles.

ص ٤٥٢: [الآية ٤٠ من سورة الأحزاب]

﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. كلمة «خاتم» قد تعنى «الخاتم» الذى يوقّع به

في نهاية وثيقة، وهو رمز للنهاية والختام. وقد تعني اسم فاعل خاتِم الذي يختم ويكون الأخير. وقد اختار بيرك المعنى الأوّل le sceau des prophétes وكذلك دونيس ماسّون. أمّا حميد الله فقد اختار المعنى الثاني والتفسير الثاني فترجم: le dernier des prophétes «آخر النبيين». لاشك أن هذه الأخيرة قراءة بكسر الميم «خاتِم».. قرأ بها ابن مسعود، وفسّر بها القرطبي وأورد أحاديث تعضدها.

ص ٤٦٣: [الآية ٤٧ من سورة سبأ]:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.. تبنّى الطبري والزمخشري التفسير الأقرب للسياق، فيقول الطبري: يقول الله تعالى: قل إن ما أسألكم أجرًا على تبليغ الرسالة هو لكم، أي هذا الجعل لكم إن كنت سألتكم. فـ«ما» إذن موصول لدى الطبري، وأمّا الزمخشري فيقول إن «فهو لكم» جواب شرط لأداة الشرط «ما». والتركيب إذن يحتمل معنيين ثم ترجمتين الأوّل ينفي الأجر من الأصل حيث «ما» نافية كما يقول الرجل لصاحبه: إن كنت أعطيتني شيئًا فخذه. عالمًا بأنّه لم يعطه شيئًا. والآخر يجعل «ما» شرطيّة وقد اختار كلا المترجمين معنى غير المباشر، وإن كان بيرك أقرب حيث قال: "Le ne vous demande pas... gardez".

وهي عبارة دقيقة في العربيّة ويجب الاحتياط لها بالشرح الوافي في الهامش!

ص ٥٣٠: [الآية ٣٩ من سورة الزخرف]:

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

ترجم بيرك: "De rien ne vous servira en ce jour-là quand vous

fûtes iniques, d'être conjoints dans le châtiment" ومن الناحية التركيبيّة النحويّة فإن جملة "d'être conjoints dans le châtiment" تكون بمثابة الفاعل للفعل servira. أمّا دونيس ماسّون فقد ترجمت:

"Il vous sera pas utile, ce jour-là -du moment que avez été injustes- que vous soyez associés dans le châtiment"

كما لو كانت الآية (حسب تصور المترجمة): «لن ينفعكم هذا اليوم، بما أنكم ظلمتم. وسوف تشتركون في العذاب ذاته».

والمترجمان قريبان من معنى الآية حسب التفاسير، وإن كان كل منهما لم يشر إلى الاحتمال الآخر والترجمة الأخرى، ولكن يظل بيرك أقرب إلى ظاهر التركيب من دونيس ماسّون، فهي تعتبر كأن «اليوم» فاعل، وكأن الجملة «أنكم في العذاب مشتركون» إنّما هي بكسر الهمزة، أي جملة كاملة مستقلة مع أن ظاهرها في المصاحف «أنكم في العذاب»، فهي في موضع الفاعل وكان المعنى الواضح: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم كونكم في العذاب مشتركون».

ونجد أن ترجمة حميد الله (الأقرب إلى الحرفيّة محافظة على دقائق المعنى) تكاد تطابق ترجمة جاك بيرك، إذ يقول:

"Il ne vous profitera point ce jour-là- du moment que avez été injustes- que vous soyez associés dans le châtiment"

ص ٥٥٢: [الآية ٢٥ من سورة محمّد]:

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾.

ترجمها بيرك: "Satan les induisit, et Dieu leur accorde délai"

مفسّرًا: الشيطان سوّل لهم، والله أملى لهم.. مسندًا الفعل «سوّل» إلى الشيطان والفعل «أملى لهم» إلى لفظ الجلالة. أمّا دونيس ماسّون فقد ترجمت "...ont été abusés par le démon qui leur a donné quelque répit" بإسناد الفعلين معًا إلى الشيطان، والمترجمان راجعان إلى التفاسير، وأمّا حميد الله فقد تابع دونيس ماسّون بإسناده الفعلين إلى لفظ الجلالة على ظاهر التركيب العربي القرآني.

ص ٥٥٨: [الآية ٢٩ من سورة الفتح]:

﴿.. ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ...﴾.

ترجمت: "Tel leur modèle dans la Torah. Quant à leur modèle dans l'évangile: comme après avoir fait caller le grain.." حيث فهمت جملة «ذلك مثلهم في التوراة» عائدة إلى جملة «سيماهم في وجوههم من أثر السجود». وابتدأت جملة جديدة: «ومثلهم في الإنجيل كزرع».. وهي ترجمة صحيحة تتبع تفسيرًا صحيحًا. كما أنّه الأقرب إلى السياق التركيبي الظاهر للفظ القرآني، أما دونيس ماسّون فقد اعتبرت الوقف على عبارة «من أثر السجود» ثمّ اعتبرت «ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع» جملة واحدة. انظر ترجمتها:

"Voici leur parabole qui les concerne dand l'Evangile: ils son semblables au grain.. "la Torah, et la parabole qui les concerne dans

وأمّا حميد الله فقد اختار اختيار جاك بيرك حيث فهم «سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة» ووقف عليها ليجعل العبارة الموازية لها: «ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه».

هذا وبالله التوفيق.

استنتاجات:

■ إذا كانت «الترجمة خيانة للنص» أو نوعًا من الخيانة، و«إذا كانت التراجم كالنساء إمّا جميلات وإمّا أمينات أو مخلصات» وإذا كانت الترجمة نوعًا من المعاناة - فلاشك أن ترجمة الشعر والقرآن، أو النصوص المقدّسة بشكل عام تعتبر على قمّة هذه الإشكاليّة وتلك المعاناة.

■ الترجمة والتفسير مصطلحان مترادفان - كما رأينا - فالترجمة تفسير أو نوع من التفسير والتفسير ترجمة، كما فهمنا من مدلول المصطلح، ومن عبارة «ترجمان القرآن» التي كانت تطلق على ابن عباس. وإذا تخيلنا صعوبة التفسير، إذ يحاول أن يغوص بدرجة ما خلال نص بعيد الأعماق دائم التفجّر بالمعاني، ينفد البحر قبل أن تنفد كلماته، كما يقول عن نفسه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾... فلماذا لا يحق - إذن - للمترجم «المفسّر» أن يجتهد وأن يصيب ويخطئ كما يحقّ للمفسّر ذلك. والتفاسير تطويق بالاجتهادات والإصابات والأخطاء... والنص باقٍ خالد وقائم إلى قيام الساعة. والتراجم كلّها - حتّى ما أجازته منها مؤسّسات وهيئات إسلاميّة معتمدة - مليئة بالإصابات والأخطاء، سواء منها ترجمات المسلمين أو ترجمات غير المسلمين، والتراجم يتقادم بها العهد، وتتجدّد وتُنْسى والنص القرآني العربي الأصلي باقٍ، خالد، وقائم إلى قيام الساعة.

■ كما أن التفاسير تتعدّد وتتجدّد، ويقع في الكثير منها آثار ما يسمّى بالإسرائيليّات، كذلك التراجم، بل إن التراجم أكثر عرضة

لظهور الإسرائيليّات، نجدها على وجه الخصوص لدى المترجمين الغربيين، غير المسلمين. ولذا لابد أن يتسلّح مراجع الترجمة ومصحّحها بمعرفة الكتاب المقدّس والعهد القديم على وجه الخصوص حتّى يمكن أن تقع عيناه على هذا النوع من الإشكاليّات، ويفهم أسبابه في مواضعه ويرجع إلى كتب التفسير الإسلاميّة ليرى كيف تعامل المفسرون مع هذا النوع من القضايا، وبعضها يتعلّق باللغة وبالمفردات. هنا لابد أن نشير إلى أهمّيّة قراءة المسلمين المتخصّصين للترجمة العبريّة لمعاني القرآن الكريم.

● آن الأوان أن يتوجّه الباحثون المسلمون - المهتمّون بترجمات معاني القرآن والفاحصون للتراجم، والمراجعون المصحّحون لها - إلى النظر إليها في إطار الإشكاليّات العامّة لما يسمّى بالاستشراق؛ لأن الترجمات تدخل ضمن إطار هذه الإشكاليّات. والذهاب إلى المنابع لرؤية النظريّات والمفاهيم العامّة أفضل من البقاء دائمًا في إطار البحث عن الأخطاء وأنواع التحريفات مع أهميّة هذه الأخيرة. ويجب في هذا الصدد أن نهتمّ بما يدور في هذه الساحة من تطوّرات وتغيّرات فاستشراق اليوم يختلف عن استشراق الأمس كمًّا ونوعًا.

● نرى أن كثيرًا من مترجمي معاني القرآن في الغرب على درجة من الوعي بخطورة الإشكاليّات الفنّيّة للترجمة وكثير منهم لا يأنفون من الحوار مع المسلمين المتخصّصين المسلحين بدرجات من المعرفة الموضوعيّة العلميّة - وهي نسبيّة لدينا ولديهم - وهم يقبلون المناقشة، ويسعون إلى طلب النصح العلمي والإرشاد الذي يطبّقونه أو أغلبه. ونحن نقول ذلك من خلال تجربة عمليّة معهم.

■ ننصح المصحّح والمراجع المسلم العربي اللسان أن يقارن بين الترجمات، خصوصًا في مواضع الإشكاليّات، وألا يكتفي بالإعلان السريع من مواطن الضعف ـ كما قد يتصوّرها ـ قبل أن يراجع التفاسير الإسلاميّة، ومواضع الاختلاف بينها وألا يكتفي برؤية تفسير أكثرها تداولاً. ونحن نقصد بالتفاسير تلك القديمة المتعارف عليها والمعتمدة وفي مقدّمتها: ابن عباس والطبري والقرطبي والزمخشري، تلك التي تراعي الجوانب اللغويّة والبلاغيّة.

ذلك لأن كثيرًا من اختلافات التراجم في أمور ذات خطر قد تكون راجعة إلى تفسير أو آخر. على قارئ الترجمة أن يبحث عنها ثم يبحث فيها عن المشكلة. وقد يقيد المترجم معنى آية أو جملة أو عبارة بما قرأ من تفسير؛ ولذا يجب على المترجم إذا اختار رأيًا أو قراءة قرآنيّة ذات تفسير معيّن أن يشير إلى المعنى أو الرأي الآخر أو إلى القراءة الأخرى في هامش ترجمة الآية نفسها ليحيل القارئ إليها، بل إنّه يجب عليه أن يقيد خصوصيات ترجمته ويشير إليها وينبّه عليها في مقدّمة ترجمته.

■ وأخيرًا، فنحن ندعو المسلمين والعرب القادرين على الترجمة بالمساهمة بترجمات لمعاني القرآن الكريم على أن يراعوا قدر الإمكان تحرّي خصائص اللغة المترجم إليها وأساليب بلاغتها وفصاحتها وشاعريّتها. وأن يبتعدوا عن الترجمة الحرفيّة المباشرة التي قد لا يستوعبها القارئ الفرنسي الذي لا يعرف العربيّة. ولا يكفي أن يكون ناقد الترجمة المسلم على درجة من العلم والذوق للفرنسيّة وحدها دون إلمام كافٍ بالقرآن وعلومه والعربيّة وعلومها. والعكس

صحيح تمامًا أي لا يكفي أن يكون الناقد هذا مستوعبًا العربيَّة وحدها والقرآن وعلومه دون إلمام كافٍ بخصائص اللغة المترجم إليها فرنسيَّة كانت أو غيرها.

ومهما كانت الترجمة ودقتها وحرصها فلاشك أنَّها ستفقد النص الأصلي كثيرًا من جوانبه وخصائصه وما أكثر هذه الجوانب وتلك الخصائص.. إن باب ترجمة معاني القرآن الكريم سيظل مفتوحًا على مصراعيه. وهذا واجب علمي قبل كل شيء.

ثبت المراجع

أولا: نص القرآن وترجمات معانيه:

١ـ نص القرآن الكريم العربي، والترجمة الفرنسيّة. في طبعة مزدوجة اللغة (عربيّة ـ فرنسيّة) المصرّح بها من مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر سنة ١٩٨٥ ـ ترجمة دونيس ماسّون مراجعة الشيخ صبحي الصالح. مع مصادقة المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة بلبنان.

٢ـ الترجمة الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم. جاك بيرك ـ الطبعة الأولى ـ دار سندباد ـ باريس سنة ١٩٩٠. والتي طلب الإمام الأكبر شيخ الأزهر من محمود عزب المدرّس بكلّيّة اللغات جامعة الأزهر مراجعتها وتصحيحها.

٣ـ الترجمة الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم ـ جاك بيرك ـ الطبعة الثانية المصحّحة ـ دار ألبان ميشال ـ باريس سنة ١٩٩٥.

٤ـ الترجمة الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم ـ محمد حميد الله، مراجعة إدارة البحوث العلميّة للإفتاء والتوجيه الديني بالمملكة العربيّة السعوديّة ـ طبعة دار البراق ـ بيروت لبنان بدون تاريخ. (طبعة مزدوجة: النص القرآني العربي مع الترجمة الفرنسيّة).

ثانيا: دراسات علميّة:

١و٢ـ محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل (نحو

تاريخ آخر للفكر الإسلامي ـ ترجمة وتعليق صالح هاشم) ص ٤٤ إلى ٥٤. طبعة دار الساقي. بيروت لبنان، سنة ١٩٩٩.

٣ـ بيير برديو: تأمّلات باسكاليّة. (من خلال الفكر الأصولي ـ المرجع السابق).

٤ـ محمّد أركون: المرجع السابق نفسه.

٥ إلى ٢٢ـ البيلوغرافيا العامة لترجمات معاني القرآن الكريم ـ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة بإسطنبول ـ ١٩٨٦.

٢٣ إلى ٢٥ـ جمال الرفاعي: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى العبريّة ـ بحث بكليّة الألسن جامعة عين شمس ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٥.

٢٦ـ النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ المجلد الأوّل ص ٨٩، ص ٩٠.

٢٧ـ الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٩٥٧، المجلد الأوّل ص ٤٦٦.

٢٨ـ الشاطبي: كتاب الموافقات ـ المجلد الثاني ص ٤٦، ص ٢٧.

الفهرس

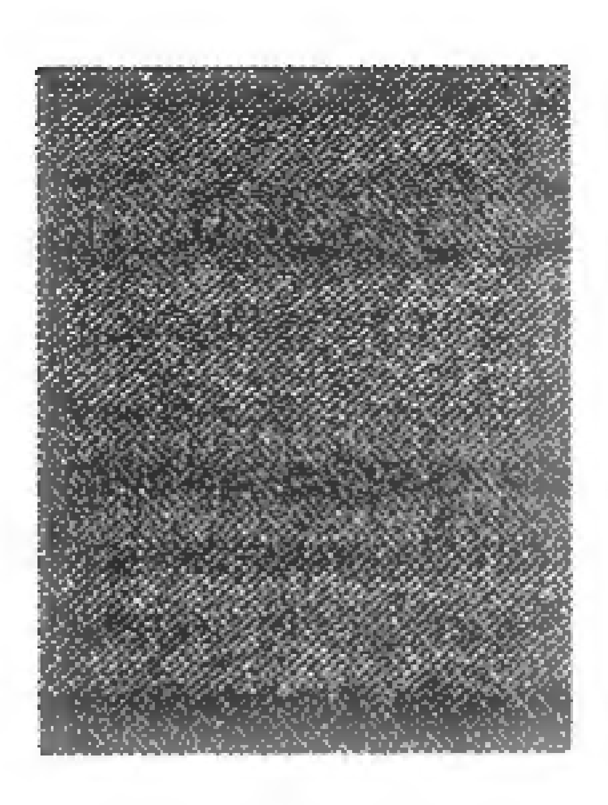

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع